المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

ديوان علي بن الجهم

عني بتحقيقه

خليل مردم بك
رئيس مجمع اللغة العربية سابقا
١٨٩٥ - ١٩٥٩

طبعة ثانية تمتاز بزيادات بخط المحقق

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

ديوان

علي بن الجَهم

عَلِيُّ بنُ الجَهْم

١٨٨ ؟ — ٢٤٩

حياته

أبو الحسن علي بن الجَهْم بن بَدْر بن الجَهْم بن مسعود القرشي السَّامي ، ينتهي نسبه إلى سامَة بن لُؤَيّ بن غالب [١] . وبنو سامَة بطن من قُرَيْش يقال لهم قُرَيْش العازبة [٢] ، لأن سامَةَ خرج مع امرأته ناجِيَة من مكة إلى ناحية البحرين ، وأولاده منها هناك . وعلي بن الجهم يفخر بنسبه هـذا في عدة مواضع من شعره .

وترك بعضُ بني سامَة — المتحدر منهم علي بن الجهم — موطنهم في البحرين إلى خُراسان ، ولا نعلم أول من رحل منهم ، ولا الزمن الذي رحلوا فيه ، ولكنه على كل حال بعد أن فتح المسلمون خُراسان سنة ٣١ .

أما دار علي — أو دار جده على الأصح — فقد أشار علي نفسه في أبيات من شعره إلى أنها كانت بمدينة مَرْو المعروفة بِمَرْوِ الشَّاهِجان قصبة خُراسان قال :

أَنظَرَتنَا (وَقَدْ) مَرَرْنَا « بِمَرْوِ » وَوَرَدْنَا « الرَّزِيقَ » « وَالْمَاجَانَا » [٣]

أَنْ نُحَيِّيَ دِيَارَ « جَهْمٍ » وَ« إِدْرِيـ سَ » بِخَيْرٍ وَنَسأَلَ الإِخْوَانَا

والجَهْم وإدريس ابنا بَدْر ، والد الشاعر وعمه .

---

(١) ساق أبو الفرج الاصفهاني عمود نسبه متسلسلا في الأغاني ١٠ — ٢٠٣ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد بترجمة والده الجهم ٧ — ٢٤٠ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١ — ٢٦٢ وابن خلكان في وفيات الأعيان ١ — ٤٤١ . والمرزباني في معجم الشعراء ص ٢٨٦

(٢) الأغاني ١٠ — ٢٠٥ .

(٣) الرزيق والماجان : نهران كبيران يخترقان مدينة مَرْو الشَّاهجان . انظر تكملة الديوان قطعة ١٠١ ص ١٨٦ .

وانتقل الجَهْم — والد علي — من خُراسان إلى بغداد ، ولا نعلم متى كان انتقاله ، أقبل مولد ابنه علي أم بعده ، فقد ذكر المرزباني في معجم الشعراء ص ٢٨٦ أن أصل علي من خراسان ، وذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١١/٣٦٧ وابن خلكان في وفيات الأعيان ١/٤٤١ أنّ عليا من ناقِلة [1] خُراسان ، فيجوز أن يكون وُلدَ ببغداد بعد أن انتقل أبوه إليها ، أو أن أباه انتقل به إلى بغداد وهو طفل ، وكلام المرزباني لا يدل على أنه ولد بخراسان .

وهذه الخراسانية مما يفتخر به علي أيضا ، لا من جهة النسب ، بل من جهة المذهب السياسي ، لأن أهل خراسان هم الذين قاموا بالدعوة العباسية قال :

مَذْهَبِي وَاضِحٌ وَأَصْلِي خُراسَا نُ وَعِزِّي بِعِزِّكُمْ مَوْصُولُ [2]

وأسرة علي بن الجهم من علية القوم ، فقد ولىّ المأمون أباه الجهم بريد اليمن وطرازها وولاه الثَّغْر ، كما ولاّه الواثق الشرطة في بغداد [3] . وكان أخوه الأكبر محمد بن الجهم عالماً أديباً يذكره الجاحظ كثيراً في كتبه ويروي عنه ويستشهد بكلامه ، وكان مقرّبا عند المأمون ولاّه عدة ولايات [4] في بلاد فارس ، وولاّه المعتصم دمشق [5] سنة ٢٢٥ . وله أخ آخر اسمه عبد الله [6] لم نطلع على شيء من أخباره . وكان عمه إدريس بن بدر من الرؤساء الوجهاء رثاه أبو تمّام الطائي [7] ، وكذلك ابن عمه عثمان بن إدريس [8] كان ممن قصدهم أبو تمّام .

لم يعين أحد ممن ترجم لعلي بن الجهم سنة مولده ، ولكننا نقدِّر أنه ولد

(١) النـاقلة من الناس : خلاف القُطّان . وهم الذين نسميهم اليوم الجالية أو المهاجرين .
(٢) الديوان ص ٢٦ .
(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧ — ٢٤٠ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٦٣ . والثغر البلاد الواقعة على حدود الروم .
(٤) الأغاني ١٣ — ١٥ طبعة الساسي .
(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١٥ ص ٩٨ مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق . والنجوم الزاهرة ٢ — ٢٤٣ .
(٦) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٦٣ .
(٧) ديوان أبي تمام الطائي ص ٣٧٢ (طبعة بيروت) .
(٨) ديوان أبي تمام الطائي ص ٣٩٥ (طبعة بيروت) .

سنة ١٨٨ أو قبلها بيسير ، وذلك لان المتوكل لما غضب عليه فى حدود سنة ٢٣٨ كان عمره يناهز [١] الخمسين ، فلا نكون بعيدين عن الصواب في تقديرنا هذا ويقال ان دايته أم ابراهيم الحربي (معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٨٦) .

ولما بلغ السن التى يذهب بها الصغار إلى الكُتّاب ، بدأ يذهب كل يوم من داره فى شارع دُجَيْل [٢] ببغداد إلى كُتّاب فى الحي يجمع بين صغار الصبيان والبنات . وكان علي حسن الوجه ذكي الفؤاد كثير النشاط ، ظهرت عليه مخايل النجابة منذ طفولته ، فكان يَسْعَرُ البيتَ وثباً وقفزاً ولعباً وضجيجاً ، حتى أقلق والده بضوضائه وجلبته ، فسأل أبوه معلمَ الكُتّاب يوماً أن يحبسه في الكتّاب . فلما رأى علي رفاقه ينصرفون إلى دورهم وهو محبوس ، ضاق صدره فأخذ لوحه وكتب فيه إلى أمه [٣] :

يَا أُمَّتَا أَفْدِيكِ مِنْ أُمِّ ... أَشْكُو إِلَيكِ فَظَاظَةَ « أُلجَهْمِ »

قَدْ سُرِّحَ الصِّبْيَانُ كُلُّهُمُ ... وَبَقِيتُ مَحْصُوراً بِلا جُرْمِ

وبعث باللوح إليها مع رفيق له من الصبيان . قال علي : « وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أمي ؛ فأرسلتْ إلى أبي : والله لئن لم تطلقه لأخرجنّ حاسرةً حتى أطلقه » .

ومن حوادثه فى الكُتّاب أن أخذ لوحه يوماً وكتب فيه إلى بنت صغيرة كانت معه [٤] :

ما ذا تَقُولِينَ فِيمَنْ شَفَّهُ سَهَرٌ ... مِنْ جَهْدِ حُبِّكِ حَتَّى صَارَ حَيْرَانَا

وهكذا بدأ يقول الشعر وهو صغير جداً ولعله كان دون عشر سنوات من عمره .

لا نعلم على من قرأ بعد أن يفع وانقطع عن الكتّاب ، ولكننا نعلم أنه نشأ فى أسرة جمعتْ بين العلم والأدب والشرف والوجاهة والثراء ، فقد كان أخوه

(١) الأغاني ١٠ – ٢١١ .

(٢) تاريخ بغداد ١١ – ٣٦٩ وابن خلكان ١ – ٤٤١ ؛ ومختصر طبقات الحنابلة ص ١٦٥ وعيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ٦–١٧٤ والمختار من شعر بشار بن برد ص ١٧

(٣) تكملة الديوان ق ٩٠ ص ١٨٠ وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٥١ والأغاني ١٠ – ٢١٧

(٤) تكملة الديوان ق ٩٧ ص ١٨٤ .

الأكبر محمد مولعاً بالكتب وقراءتها يروي عنه الجاحظ أشياء في هذا الشأن ، وكان معدوداً من كبار المتكلمين جمع بين ثقافتي العرب واليونان ، يجادل الزنادقة في مجالس المأمون [1] ؛ قال عنه ابن قتيبة : « مصحفه كتب ارسطاليس في الكون والفساد والكيان وحدود المنطق بها يقطع عمره [2] » وكان واسع الرواية لأشعار العرب .

في هذه البيئة الفاضلة نشأ علي ولكنه — وقد خُلق شاعراً — انصرف إلى الثقافة العربية عن الثقافة اليونانية ، ووهب نفسه للشعر ، ومال عن مذهب أهل الجدل من المعتزلة إلى مذهب أهل الحديث الذين يمثلون الفكر العربي في فهم الدين ، فكان يختلف إلى الإمام أحمد بن حنبل ويسأله مسائل في القدر والصفات وما ماثل ذلك [3] . وكان يختلف إلى قبة الشعراء في المسجد الجامع ببغداد ، وكانت أشبه بنادٍ يجتمع فيه الشعراء كل جمعة ، يتناشدون ما يقولونه من الشعر أسبوعاً فأسبوعاً ، ويحسن أن نستمع إلى علي نفسه يحدثنا بأخبار تلك القبة ، قال :

« كان الشعراء يجتمعون في كل جمعة في القبة المعروفة بهم بجامع بغداد ، ينشدون الشعر ويعرض كل منهم على أصحابه ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها ، فبينا أنا في جمعة من تلك الجمع ودِعْبِل [4] وابن أبي [5] الشيص وابن أبي فنن [6] ، والناس مجتمعون يسمعون إنشاد بعضهم بعضاً ، أبصرت شاباً في أخريات الناس جالساً في زي الأعراب . فلما فرغ كل منهم وقطع إنشاده ،

(١) ذكره الجاحظ وروى عنه كثيراً في البيان والتبيين والحيوان والبخلاء كما يشهد على ذلك فهرس الأعلام في الكتب المذكورة .

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٩٠ .

(٣) مختصر طبقات الحنابلة ص ١٦٤ .

(٤) دِعْبِل بن علي الخزاعي (١٤٨ – ٢٤٦) شاعر مجيد هجاء أصله من الكوفة وأقام ببغداد .

(٥) عبد الله بن أبي الشيص شاعر ابن شاعر كانت به لوثة لغلبة السوداء عليه ذكره ابن المعتز في طبقات الشعراء ص ١٧٣ .

(٦) أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن شاعر مطبوع ذكره ابن المعتز في طبقات الشعراء ص ١٨٨

التفت الشابُ إلينا وقال : قد سمعت إنشادكم منذ اليوم فاسمعوا إنشادي ، فقلنا هات فأنشد :

فَحْواكَ عَيْنٌ على نَجْواكَ يا مَذِلُ (١)

ثم مرَّ فيها منشداً حتى أتى إلى قوله :

تَغَايَرَ الشِّعرُ فيه إذ سهرتُ له　　حتى ظننتُ قوافيهِ ستقتتلُ

فعقد ابن أبي الشيص عند هذا البيت خنصره ، ثم مَرَّ فيها الشابُ إلى أن أتى على آخرها . ثم أنشد قصيدة أخرى ، فقلنا له : أيها الشابُ لمن هذا الشعر ؟ فقال لمن أنشدكموه ، فقلنا له : ناشدناك الله من تكون ؟ فضحك وقال : أنا أبو تمّام الطائي ؛ فرفعنا مجلسه حينئذ وعظمناه تعظيماً كبيراً واشتد إعجابنا به لدماثة أخلاقه وفصاحة منطقه وجودة شعره . ثم إنني ما عرفت عقد خنصر ابن أبي الشيص ، هل كان إعجاباً به مما سمع فى البيت من البديع المرقص ، أو أخذاً عليه فى إسكان الياء في قوله حتى ظننت قوافيه (٢) »

ومنذ ذلك الاجتماع انعقدت أواصر الصداقة والمحبة بين علي بن الجهم وبين أبي تمام الطائي ، وأعجب كل بصاحبه ، وأعرب له بشعره عما يكنه له من الود ، وبقيا متحابين حتى فرق بينهما الموت ، من ذلك قصيدة لأبي تمام ودّع بها علي بن الجهم وقد أراد سفراً وأولها (٣) :

هي فرقةٌ من صاحبٍ لَكَ ماجِدِ　　فغداً إذابةُ كل دمعٍ جامِدِ

وله فيه ايضا قصيدة أولها (٤) :

بِأَيِّ نجومِ وجهكَ يُسْتَضَاءُ　　أَبا حَسَنٍ وشِمَتُكَ ألإباءُ

وبقي من شعر علي فى أبي تمام أبيات يرثيه بها أولها (٥) :

غَاضَتْ بدائعُ فطنةِ الأَوْهَامِ　　وَعَدَتْ عليها نكبةُ الأَيَّامِ

---

(١) المَذِل : الذي لا يكتم السر . وانظر القصيدة في ديوان أبي تمام الطائي ص ٢٢٦

(٢) شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة ص ٢٢٥ . وانظر قبة الشمراء في معاهد التنصيص ١ – ٢٩

(٣) ديوان أبي تمام الطائي ص ٨٦ . وانظر هذا الخبر في تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ١٩ .

(٤) « « « ص ٣٩٤ .

(٥) تكملة ديوان بن الجهم ق ٩١ ص ١٨١ .

وفى خلافة المأمون (١٩٨ – ٢١٨) أخذ اسم علي بن الجهم يشتهر بالشعر، وروى الناس شعره حتى بلغ المأمون . قال محمد بن الجهم « دعاني المأمون يوماً فقال : قد نبغ لك أخ يقول الشعر فأنشدني له ، فلم أذكر إلا قوله فى الكلب :

أُوصيكَ خَيْراً به فإنَّ لَهُ سَجِيَّةً لا أَزالُ أَحْمَدُها
يَدُلُّ ضَيْفي عَلَيَّ في غَسَقِ اللَّيْلِ إذا النَّارُ نامَ مُوقِدُها

فقال أحسن الموصي بالكلب وأمر لي بمال [1] »

واستحسن المأمون أيضا أبيات علي فى الشطرنج التي أولها :

أَرْضٌ مُرَبَّعَةٌ حَمْراءُ مِنْ أَدَمِ ما بَيْنَ إلْفَيْنِ مَعْرُوفَيْنِ بِالْكَرَمِ [2]

وكان يكثر من إنشادها والتمثل بها حتى نسبت إليه .

ويروى عن علي بن الجهم أنه سافر إلى خراسان والثغور والجبال ومصر والشام وأقام فى كل منها مدة [3] ، والمظنون أنه بدأ باسفاره هذه فى أواخر خلافة المأمون .

وذكر عن علي بن الجهم أنه تولى مظالم حلوان [4] ، ونرجح بل نكاد نقطع بأن ولايته هذه كانت فى خلافة المعتصم (٢١٨ – ٢٢٧) ويدلنا على ذلك أن عليا نفسه قال : « كنت أتولى مظالم حلوان وكان الحارثي يجيء اليها ، فأتاني مرة وظهر كوكب الذنب فى تلك الليلة فقلت :

لَمَّا بَدا أَيْقَنْتُ بِالْعَطَبِ فَسَأَلْتُ رَبِّي خَيْرَ مُنْقَلَبِ
لَمْ يَطْلُعا إلَّا لِآبِدَةٍ الْحارِثِيُّ وَكَوْكَبُ الذَّنَبِ » [5]

وهـذا الكوكب المذنب الذى ذكره على سبيل الدعابة ظهر [6] فى سنة ٢٢٢

(١) وربيع الأبرار للزمخشري ج ؛ ورقة ١٨٧ مخطوط في دار الكتب الظاهرية . وانظر تكملة الديوان ق ٣٧ ص ١٣٠ .

(٢) تكملة الديوان ق ٨٨ ص ١٧٩ .

(٣) الأغاني ١٠ – ٢١١ .

(٤) حلوان العراق : في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد .

(٥) الأغاني ١٠ – ٢١٠ وتكملة الديوان ق ١٥ ص ١١٣ .

(٦) قال ابن الأثير في الكامل ٦ – ١٦١ « وفي سنة ٢٢٢ ظهر عن يسار القبلة كوكب فبقي يرى نحواً من أربعين ليلة وله شبه الذنب وكان أول ما طلع نحو المغرب ثم رؤي بعد ذلك نحو المشرق وكان طويلاً جداً فهال الناس ذلك وعظم عليهم » .

كما ذكر ذلك ابن الأثير ، وإلى هذا الكوكب أشار أبو تمّام لطائي بقوله :

وَخَوَّفُوا الناسَ مِنْ دهياء مُظْلِمَةٍ   إذا بدا الكوكبُ الغربيُّ ذو الذَّنَبِ

ولعلي بن الجهم قصيدة يهنيء بها المعتصم بفتح عمورية بعد أن ظفر بالخارجين على سلطانه مثل بابَك الخُرَّمي ومازيار بن قارن ومحمد بن عثمان صاحب الزُّط هي فاتحة الديوان (1) .

وفى خلافة الواثق (٢٢٧ — ٢٣٢) نسمع لعلي فى مدحه نتفاً من الشعر هي أشبه بالأغاني والأناشيد قليلة عدد الأبيات قصيرة الأوزان (2) ، لا تدل على ارتياح نفس او انشراح صدر ، ولعل مردّ ذلك لشدة الواثق على أهل الحديث . وفى هذه المدة أعلن علي بن الجهم كرهه لوزير الواثق محمد بن عبد الملك الزيات فهجاه (3) أقبح هجاء ولم يخش صولته ولا جبروته .

وفى خلافة المتوكل (٢٣٢ — ٢٤٧) تكثر أخبار علي بن الجهم وتتوالى ، وأكثر ما بقي من شعره قاله فى المتوكل أو فى زمنه .

كان المتوكل أمل ابن الجهم الذي طالما نشده ، خليفة أظهر خصائصه الوداعة والكرم ، يرى رأي أهل السنة وأصحاب الحديث ، ويرتاح للشعر ويؤثر مجالسة الأدباء ، وهذا غاية ما يتمناه وفى ذلك يقول :

قالوا أَتاكَ الأَمَلُ الأَكْبَرُ   وَفازَ بالملكِ الفتى الأَزْهَرُ

واكتستِ الدنيا جَمالاً بهِ   فقاتُ قَدْ قامَ إذاً «جعفرُ» (4)

وبعد أن تمت بيعة المتوكل قام علي بن الجهم فى مجلسه وأنشد قصيدة هي أشبه بما يسمونه اليوم « خطاب العرش » فصّل فيها سياسة المتوكل فى الدين والدولة أولها :

وقائلٍ أَيُّهُما أَنْوَرُ   الشَّمْسُ أَمْ سيدُنا «جعفرُ» (5)

(1) الديوان ق ١ ص ٣ .

(2) الديوان من ص ١٣ إلى ص ١٧ وتكملة الديوان ق ١٠٥ ص ١٨٨ .

(3) تكملة الديوان من ص ١١٨ الى ص ١٢٠ .

(4) الديوان ق ٨ ص ٢٦ .

(5) الديوان ق ٢٣ ص ٧١ .

غمز فيها المعتزلة وغيرهم ممن سماهم أهـل الأهواء . وكان في المجلس قاضي القضاة أحمد بن ابي دؤاد وهو من أئمة المعتزلة فأطرق استنكاراً .

وقرّبه المتوكل واتخذه جليساً ونديماً وجعله من خاصة ندمائه ، وكان يرسله في حاجاته ، ويفضي اليه بأسراره ويثق به ويأنس بمجالسته منفرداً ومع النـدماء ، ويطلعه على أموره الخاصة بينه وبين حَظِيَّاته وجواريه ، ويدعوه نهاراً كما يدعوه ليلاً ، وقد يأمر بإيقاظه من منامه ليبوح اليه بشيء من ذات نفسه . وأخباره في هذا الشأن غير قليلة تدل على ذكاء وفطنة وسرعة خاطر .

وكان ينادم المتوكلَ مع علي بن الجهم ويسمر عنده في الليل جماعة منهم البحتري والحسين بن الضحاك ومروان بن ابي الجنوب واحمـد بن حمـدون وبختيشوع بن جبرائيل الطبيب فضلاً عن المغنين والقيان والمضحكين ، وكان ابن الجهم يتعالى عليهم ويراهم دونه ، فاتفقوا عليـه وهجاه من شعرائهم البحتري (١) ومروان بن ابي الجنوب (٢) وكادوا له وسعوا به لدى المتوكل ، وزعموا أنه يجمّش خدم القصر ويغمزهم ، فتغيرّ قلب المتوكل عليه بعد أن كان مستودع سره نحواً من سبع سنين ، وأمره بان يلزم داره . ففعل وانقطع عن القصر .

ولكن الندماء لم يقفوا عند هذا الحد ، فزعموا أنه كثير الطعن على الخليفة والعيب له والإزراء على أخلاقه ، فغضب المتوكل وأمر بحبسه ، فكان أول ما قال في الحبس قصيدة كتب بها الى اخيه ليوصلها الى الخليفة أولها :

تَوَكَّلْنا عَلَى رَبِّ السَّماءِ وَسَلَّمْنا لأسبابِ القَضاءِ (٣)

يظهر فيها تجلداً ويهجو خصومه ويعلن استمرار إخلاصه للخليفة بقوله :

أنا المُتَوَكِّلِيُّ هَوىً وَرَأْياً وما بالواثقيَّةِ من خَفاءِ

وَما حبسُ الخليفةِ لي بعارٍ وليس بمُؤْيِسي منه التَّنائي

فرقَّ له المتوكل وكاد يأمر باطلاقه ، ولكن الندماء تألبوا عليـه وانتدب له

(١) انظر ديوان البحتري طبعة الجوائب ج ٢ ص ٨١ و ٩٩ و ١٠٧ .
(٢) الأغاني طبعة الساسي ١١ — ٣ .
(٣) الديوان ق ٢٥ ص ٨١ .

مروان بن ابي الجنوب فعارضه بقصيدة يرد بها عليه وأنشدها في مجلس المتوكل ، فاعتورته ألسنة الجلساء وثلبوه واغتابوه وضربوا عليه ، فتركه في محبسه (١) . وما زالوا يسعون به حتى أمر الخليفة ان يقيَّد في حبسه . وفي ذلك يقول :

فلا تجزعي إماَّ رأيتِ قيُودَهُ   فإنَّ خلاخيلَ الرجالِ قيُودُها (٢)

وكانوا يتوسلون بأنواع الحيل ليحولوا دون اطلاقه من السجن ، وفي هذا الخبر الذي يرويه صاحب الأغاني عن عبد الله بن المعتز وصف لمبلغ احتيالهم على الإيقاع به قال (٣) :

« لمَّا حبس أميرُ المؤمنين المتوكلُ عليَّ بن الجهم ، وأجمع الجلساء على عداوته وإبلاغ الخليفة عنه كل مكروه ووصفهم مساويه ، قال هذه القصيدة يمدحه ويذكره حقوقه عليه ، وهي :

عفا اللهُ عنكَ ألاَ حُرْمَةٌ   تَعُوذُ بعفوكَ أنْ أُبعَدا

ووجّه بها الى بيدون الخادم ، فدخل بها الى قبيحة وقال لها : ان علي بن الجهم قد لاذ بك وليس له ناصر سواك ، وقد قصده هؤلاء الندماء والكتاب لأنه رجل من أهل السنة وهم روافض ، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله . فدعت المعتز وقالت له : اذهب بهذه الرقعـــة يا بني إلى سيدك وأوصلها اليه ، فجاء بها ووقف بين يدي أبيه . فقال له : ما معك فديتك ؟ فدنا منه وقال : هذه رقعة دفعتها إليَّ أمي . فقرأها المتوكل وضحك . ثم أقبل عليهم فقال : أصبح أبو عبد الله — فديته — خصمكم . هذه رقعة علي بن الجهم يستقيل ، وأبو عبد الله شفيعه ، وهو ممن لا يرد ، ، وقرأها عليهم . فلما بلغ إلى قوله :

فلا عُدْتُ أَعْصِيكَ فيما أَمَرْتَ   إلىْ أَنْ أَحُلَّ الثَّرْى مُلْحَدا
وَإلَّا فخالفتُ رَبَّ السماءِ   وخُنْتُ الصَّدِيقَ وعِفْتُ النَّدى

(١) الأغاني طبعة الساسي ١١ — ٤ .
(٢) الديوان ص ٥١ .
(٣) الأغاني ١٠ — ٢٣٠ .

وكنتُ كمَزُّونَ أو كابنِ عمروٍ   مُبيحِ العِيالِ لِمَنْ أوْلَدا

وثب ابن حمدون وقال للمعتز : ياسيدي فمن دفع هذه الرقعة إلى السيدة ؟ قال بيدون الخادم : أنا . فقالوا له : أحسنت ! تعادينا وتوصل رقعة عدونا فى هجائنا !! فانصرف بيدون وقام المعتز فانصرف . واستلب ابن حمدون قوله :

وكنتُ كمَزُّونَ أوْ كابنِ عمروٍ   مُبيح العِيالِ لِمَنْ أوْلدا

فجعل ينشدهم إياه وهم يشتمون ابن حمدون ويضجون والمتوكل يضحك ويصفق ويشرب حتى سكر ونام ، وسرقوا قصيدته من بين يدي المتوكل وانصرفوا ، ولم يوقع باطلاقه ونسيه . فقالوا لابن حمدون : ويلك ! تعيد هجاءنا وشتمنا !! فقال : يا حمقى والله لو لم أفعل ذلك فيضحك ويشرب حتى يسكر وينام لوقّع فى إطلاقه ووقعنا معه فى كل ما نكره » .

وله فى الحبس قصائد عدة أحسنها قصيدته البارعة التي لم يقل مثلها وأولها :

قالتْ حُبِسْتَ فقلتُ ليسَ بِضائرٍ   حَبْسي وَأَيُّ مُهَنَّدٍ لا يُغْمَدُ (١)

وفى كل ما قال لم يظهر جزعاً ولا هلعاً ، ولم يتغير إخلاصه للخليفة ، ولم يكفّ عن هجاء خصومه ومقارعتهم .

ولم يشتف خصومه بكل ماناله من أذى فأبلغوا المتوكل عنه أنه هجاه (٢) فأمر بمصادرة أمواله ونفيه إلى خراسان بعد أن لبث فى السجن سنة (٣) ، وكتب إلى أمير خراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر بأن يصلبه يوماً إلى الليل ثم يحبسه وكان ذلك (٤) سنة ٢٣٩ . فلما وصل إلى الشاذياخ (٥) حبسه طاهر بها ثم أُخرج فصلب

(١) الديوان ق ١٤ ص ٤١ .

(٢) الأغاني ١٠ – ٢٠٨ .

(٣) الأغاني ١٠ –٢٠٦ .

(٤) الطبري ١١ – ٩ ٤ وابن الأثير ٧ – ٢٣ . ولا يعبأ بالقول الضعيف الذي يذكره بعض المؤرخين مع هذا القول من أن نفيه كان سنة ٢٣٢ .

(٥) الشاذياخ : من ضواحي نيسابور أم بلاد خراسان .

يوماً إلى الليل مجرّداً من ثيابه ثم أُنزل إلى الحبس . وله في ذلك قصيدة من جيد الشعر أولها (١) :

لَمْ يَنْصِبُوا بِالشَّاذِياخِ صَبِيحَةَ الإِ ثْنَيْنِ مَغْمُوراً ولا مَجْهُولا

وفيها يشير إلى مصادرة أمواله وما ناله من الظلم والعسف دون أن يظهر عليه شيء من الخور . وكتب إلى طاهر بن عبد الله من الحبس أبياتا أولها (٢) :

إِنْ كانَ لي ذَنْبٌ فلي حُرْمَةٌ والحَقُّ لا يَدْفَعُهُ الباطِلُ

وهي إلى التنديد أقرب منها إلى التظلم .

ولبث في سجن طاهر بالشاذياخ — ولا ندري كم لبث — إلى أن كتب المتوكل إلى طاهر بإطلاقه ، فلما أطلقه قال (٣) :

أَطاهِرُ إِنِّي عن خُراسانَ راحِلٌ ومُسْتَخْبَرٌ عنها فما أنا قائِلُ

فقال له طاهر : لا تقل إلا خيراً فإني لا أفعل بك إلا خيراً ووصله وحمله وكساه . وبقي مع طاهر مدة يحضر مجالسه ويسمر عنده ويخرج معه إلى الصيد وله في ذلك أشعار تشير إلى كل ما ذكر (٤) .

خرج من السجن وخلص من تلك المحنة الشديدة وقد اسودّ رأيه في الناس والحياة فزهد بها ، ورأى أنه لم يبق له صديق ، وأنه إن كان في الناس من يوثق به ويعتمد عليه فقد مات ، فصار يذهب من حين إلى آخر وهو في خراسان إلى المقابر ويجلس بها منفردا . قال صاحب الأغاني : « رأى رجل من أهل خراسان علي بن الجهم بعدما أطلق من حبسه جالساً في المقابر ، فقال له : ويحك ! ما يجلسك ههنا ؟ فقال :

يَشْتاقُ كُلُّ غَريبٍ عند غُرْبَتِهِ ويَذْكُرُ الأَهْلَ والجِيرانَ والوَطَنا

(١) تكملة الديوان ق ٨٢ ص ١٧١ .
(٢) تكملة الديوان ق ٧٨ ص ١٦٩
(٣) تكملة الديوان ق ٧٥ ص ١٦٦ .
(٤) انظر تكملة الديوان ق ٢٣ ص ١٢٠ و ق ٢٦ ص ١٢٢ .

وليس لي وطنٌ أمسيتُ أذكُرُهُ ... إلَّا المَقابِرَ إذْ صارتْ لهم وَطَنا »[1]

وما نظن أن مدة إقامته فى خراسان بعد أن أُطلق من سجنه كانت طويلة، فعاد إلى داره في شارع دجيل ببغداد، ولعل ذلك كان سنة ٢٤٠ أو بعدها بقليل.

عاد إلى بغداد ولكنه لم يذهب إلى سامراء لمنادمة المتوكل، ولم تبق له تلك المنزلة التي كانت له عند الخليفة، فانصرفت عنه الوجوه وتنكر له الناس بعد أن كانوا يتوسلون اليه، فازداد رأيه سوءاً فى الناس والحياة. وله قصيدة نرجِّح أنه قالها فى هذه الفترة من حياته يقول فيها:

وأنكَرَ إغفالَ العيونِ مَكانَهُ ... وقدْ كُنَّ مِنْ أشْياعِهِ حيثُ يَمَّمَا[2]

عَزاءً عَنِ الأمْرِ الذي فاتَ نَيْلُهُ ... وصَبْراً إذا كانَ التَّصَبُّرُ أحْزَما

خَليلَيَّ كُرَّا ذِكْرَ ما قد تَقَدَّما ... وإنْ هاجَتِ الذِّكْرى فُؤاداً مُتَيَّماً

فإنَّ حَديثَ اللهوِ لَهْوٌ ورُبَّما ... تَسَلَّى بِذِكْرِ الشيءِ مَنْ كانَ مُغرَما

خَلِيلَيَّ مِنْ فَرْعَيْ قُرَيْشٍ رُزِيتُما ... فَتىً قارَعَ الأيَّامَ حتى تَثَلَّما

وأحْكَمَهُ التَّجريبُ حتى كأنَّما ... يُعايِنُ مِنْ أسْرارِهِ ما تَوَهَّما

إذا رَفَعَ السُّلْطانُ قَوْماً تَرَفَّعوا ... وإنْ هَدَمَ السُّلْطانُ مَجْداً تَهَدَّما

وقاده سوء رأيه فى الناس وزهده بالحياة إلى السخر منهما، فصاحب أهل الفتوة فى بغداد يتلهى معهم بالاختلاف إلى بيوت القِيَان، والاسترسال باللهو وخلع العذار في فى الإقبال على المجون والعبث. قال صاحب الأغاني: « كان علي بن الجهم يعاشر جماعة من فتيان بغداد لما أطلق من حبسه ورُدَّ من النفي، وكانوا يتقاينون ببغداد ويلزمون منزل مقيِّن بالكَرْخ يقال له المفضَّل[3] » وله فى وصف هذا المنزل

(١) انظر تكملة الديوان ق ٩٦ ص ١٨٤

(٢) الديوان ص ١٨.

(٣) الأغاني ١٠ – ٢١٩.

وما فيه من أنواع اللهو والإغراء والفتنة قصيدة فريدة فى معناها أولها [1] :

نَزَلْنا ببابِ الكَرْخِ أَطْيَبَ مَنْزِلِ   عَلَى مُحْسِناتٍ من قِيانِ المُفَضَّلِ

وهكذا عاش ببغداد — بعد عودته من خراسان — مع الفتيان من أصحاب النبيذ والقيان نحواً من سبع سنين حتى كان مقتل المتوكل سنة ٢٤٧ بتدبير ابنه المنتصر . فحزن عليه حزناً شديداً بل جُنَّ جنوناً ، وتناسى كل أذية أصابته من المتوكل إقصاء وحبساً ومصادرة أموال ونفياً وصلباً . ورثاه بقصيدة طويلة لم يرث المتوكل بمثلها تفجعاً وصدقَ لهجةٍ ، بدأها بوصف سحابة نشأت فى سماء العراق فجادت العراق وأهله ، وأغاثت السهل والجبل ، وأفاضت الخير والبركة ، حتى هبّت ريح عاتية ، فذهبت بها أخوج ما يكون الناس اليها . هكذا بدأ قصيدته ، ثم كأن هذا الرمز لم يشف أوامه في التعبير عن فداحة الخطب ، ومبلغ حزنه ، فتخلص من الكناية إلى التصريح ، وبكي الخليفة الشهيد أحر بكاء ، وأنكر على القتلة الباغين ، وشنّع على رجال الدولة الذين لم يدافعوا عن الخليفة . وأول هذه القصيدة :

وسارِيَةٍ تَرْتادُ أرضاً تَجُودُها   شَغَلْتُ بها عَيْناً قليلًا هُجُودُها [2]

هذه الحادثة نقلت نفس الشاعر إلى طور جديد من الحياة ولكنه رهيب ، كان قبلها سيىء الرأي بالناس وحياتهم ، وكان يعالج ذلك بالسخر منها ، فيصاحب الفتيان ويغشى معهم بيوت القيان ويعاقر وإياهم بنت الحان . ولكنه بعد مقتل المتوكل يئس من الناس ومن الحياة ، وبدأ يلتمس السبيل للتخلص منها . ولكن كيف ؟ ومتى ؟.. بالجهاد ؟ ولو بلغ الستين من عمره .

فى صفر سنة ٢٤٩ شاع فى بغداد خبر هاج له الناس وشغب الجند ، وذلك أن قائدين من أعظم قواد الثغور الجزرية هما عمر بن عبيد الله وعلي بن يحيى قتلا مع عدد عظيم من جنودهما فى غزو الروم ، وأن الروم بعد مقتلهما كلبوا على الثغور الجزرية ، وعلى أموال المسلمين وحرمهم . فهبَّ الناس فى بغداد وسامراء وأقبلت

(١) الديوان ق ١٧ ص ٥٢ .

(٢) انظر الديوان ق ١٨ ص ٥٦ .

علي بن الجهم ٢
المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

المتطوعة من نواحي الجبال وفارس والأهواز ، وأخرج أهل اليسار أموالا فرقوها فيهم ، وتلاحقوا نحو الثغر لغزو الروم [1] .

وخرج علي بن الجهم فى قافلة قاصداً الثغر ، فلما كانوا فى خُساف [2] ، خرج عليهم نفر من الأعراب الكلبيين ، فهرب من كان فى القافلة من المقاتلة ، وثبت علي فقاتلهم قتالاً شديداً ، وثاب الناس إليه فدفعهم ولم يحظوا منه بشيء ، وله فى ذلك قصيدة يصف بها بلاءه الحسن فى تلك الواقعة أولها :

صبرتُ ومثلي صَبْرُهُ ليس يُنْكَرُ وليس على تَرْكِ التَّقَحُّمِ يُعذَرُ [3]

فلما كان من غد خرج على القافلة منهم خلق كثير ، فتسرعت إليهم المقاتلة ، وخرج عليٌّ فيهم فأصابته طعنة قتلته ، فاحتمله أصحابه وهو ينزف دمه ، فلما أحسّ بالموت جعل يقول [4] :

أَزِيدَ في اللَّيْلِ لَيْلُ أَمْ سالَ بِالصُّبْحِ سَيْلُ

يا إِخْوَتي بِدُجَيْلٍ [5] وأَيْنَ مِنّي دُجَيْلُ

فأبكى كلّ من كان فى القافلة ومات مع السحر ، ووجد معه رقعة حين نزعت ثيابه [6] بعد موته فيها قوله :

وَارَحْمَتَا للغريبِ في البلدِ النّا زِحِ ماذا بنفسِهِ صَنَعا

فارَقَ أَحبابَهُ فما انتفعوا بالعيشِ من بعدِهِ ولا انتفعا [7]

ودفن فى ذلك المنزل على مرحلة من حلب [8] .

(١) انظر ابن الأثير ٧ – ٣٨ .
(٢) خساف : برية بين بالس وحلب (معجم البلدان) .
(٣) تكملة الديوان ق ٣٩ ص ١٣١ .
(٤) تكملة الديوان ق ٨٠ ص ١٧٠ .
(٥) كان منزل علي بن الجهم في شارع دجيل ببغداد .
(٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١ – ٣٦٩ .
(٧) تكملة الديوان ق ٦٢ ص ١٥٤ .
(٨) الأغاني ١٠ – ٢٣٤ .

وفى شعبان سنة ٢٤٩ ورد على الخليفة المستعين كتاب صاحب البريد بحلب : أن علي بن الجهم خرج من حلب متوجهاً إلى الغزو ، فخرجت عليه وعلى جماعة معه خيل من كلب ، فقاتلهم قتالاً شديداً (١) وقتل .

ويقول المسعودى : وقد رثاه جماعة من الشعراء بعد قتله منهم أبو صاعد فقال :

أَرِيقي الدمعَ واجتنبي الهُجوعا ... وصُوني شَمْلَ وَجْدِكِ أَنْ يَضِيعا
وقولي إنَّ كَهْفَ بني لُؤَيٍّ ... غدا بالشَّامِ مُنْجَدِلاً صَرِيعا
عَزاءً يا بني جَهْمِ بنِ بَدْرٍ ... فقد لاقَيْتُمُ خَطْباً فظيعا
أَمَا واللهِ لو تَدْري المنايا ... بما لاقَيْتُمُ لَبَكَتْ نَجِيعا
ثَوَى كَهْفُ الأَرامِلِ واليَتامَى ... ومَن كانَ الزمانُ به ربيعا
فَتَىً كانَ السِّهامَ عَلَى الأعادي ... وَلَيْثاً دونَ حادِثَةٍ مَنِيعا (٢)

ونرجّح أن عليّ بن الجهم لم يُعْقِب وَلَداً ، فليس فى أخباره ما يشير إلى أن له نسلاً ، وليس فى شعره الذي قاله في حبسه ومنفاه وغربته وتشوّق به إلى وطنه وإخوانه وأحبابه ، ذكر لولد ، وأولاد المرء أولى من يُذكر فى مثل تلك الأحوال والمواطن .

(١) تاريخ بغداد ١١ – ٣٦٩ .
(٢) مروج الذهب ٢ – ٢٧٥ .

علمه وأدبه

نشأ علي بن الجهم فى أخريات القرن الثاني وفجر القرن الثالث ببغداد ، وبغداد فى ذلك الزمن حاضرة الدنيا علماً وأدباً وحضارةً ، وربي فى بيت علم وفضل . فقد كان أخوه الأكبر محمد بن الجهم من أنداد الجاحظ ، جامعاً بين ثقافتي العرب واليونان ، معدوداً من فلاسفة المتكلمين وأهل الجدل ، واسع الرواية للأدب ، يجالس المأمون ويناظر الزنادقة بحضرته ، وله مجلس مع المأمون يدل على سعة روايته للشعر ذكره صاحب الأغاني (١) وقد كان الجاحظ يكثر من ذكره والنقل عنه فى كتبه (٢) .

وفي هذه البيئة الزاخرة بالعلم والأدب نشأ علي بن الجهم* ، ومن يطالع شعره يجده يذكر العلم ويتمدح به ويذم الجهل بأساليب مختلفة من ذلك قوله : (٣) .

إذا لَمْ يَشِبْ رأسٌ عَلَى الجهلِ لَمْ يكن ... عَلَى المرءِ عارٌ أَنْ يَشِيبَ ويَهْرَما

وقوله (٤) :

لم تَنْقُصُوهُ وقدْ مَلَكْتُمْ ظُلْمَهُ ... ما النَّقصُ إِلَّا أَنْ يكونَ جَهُولا

ولكن وجهته في الثقافة لم توافق وجهة أخيه محمد فى كل شيء ، خُلق علي شاعراً فانصرف إلى رواية شعر العرب والمحدَثين ، وصحب شعراء بغداد ، وغيرهم من الطارئين عليها ، وكان يختلف إلى قبة الشعراء فى المسجد الجامع ببغداد ، ينشد شعره ويسمع وينتقد (٥) . ولم تستهوه الفلسفة اليونانية ، ولا مال إلى مذهب المعتزلة فى الجدل والمناظرة وتحكيم الرأي ، بل اتبع مذهب أهل الحديث الواقفين عند الكتاب والسنة ، وكان يزور الإمام أحمد بن حنبل ويسأله مسائل فى القدر

(١) سبقت الاشارة إلى ذلك في الحاشية رقم (٤) ص ٤ من المقدمة .
(٢) سبقت الاشارة إلى ذلك في الحاشية رقم (١) ص ٦ من المقدمة .
(٣) الديوان ص ١٩ .
(٤) الديوان ص ١٧٣ .
(٥) سبقت الاشارة إلى ذلك في ص ٦ من المقدمة .

* وصحب الكتب وأحب مطالعتها وأنس بمسامرتها ، يدل على ذلك قوله في وصف الكتاب : (انظر ص ٢٥٩) .

والصفات . وفى شعره شواهد كثيرة يظهر فيها أثر الكتاب والسنة ، ولا أثر فيها لما كان شائعاً فى عصره من المذاهب الفلسفية أو الثقافة الأجنبية التي كانوا يسمونها علوم الأوائل ، إلا من باب الإشارة على سبيل الرد والتسفيه .

ومهما يكن فثقافته الأدبية هي التي يعتد بها ، فقد كان عالماً بالشعر وفنونه قديمه ومحدثه ، واسع الرواية له ، بصيراً بنقده ، يفاضل بين الشعراء ويحكم بينهم .

قال أبو بكر الصولي : « حدثني محمد بن موسى قال : سمعت علي بن الجهم ذكر دِعْبِلاً فكفره ولعنه ، وطعن على أشياء من شعره ، وقال : كان يكذب على أبي تمّام ، ويضع عليه الأخبار ، ووالله ماكان اليه ولا مقارباً له ، وأخذ فى وصف أبي تمّام ، فقال له رجل : والله لو كان أبو تمّام أخاك ما زدت على مدحك له ، فقال : إلا يكن أخاً بالنسب ، فإنه أخ بالأدب والدين والمودة ، أما سمعت ما خاطبني به :

إنْ يُكْدِ مُطَّرَفُ الإخاء فإنّنَا نَغْدُو ونَسْرِي في إخَاء تَالِدِ
أوْ يَخْتَلِفْ ماء الوِصَالِ فماؤُنا عَذْبٌ تَحَدَّرَ من غَمامٍ وَاحِدِ
أوْ يفْتَرِقْ نَسَبٌ يُؤَلِّفْ بَيْنَنَا أَدَبٌ أَقَمْنَاهُ مَقَامَ الوالِدِ »*

وقال أبو بكر الصولي : « سمعت أبا إسحق الحربي يقول : كان علي بن الجهم من كَمَلة الرجال . وكان يقال : علمه بالشعر أكبر من شعره . فانظر إلى تفضيل هذا الرجل لأبي تمّام ، مع تقدمه في الشعر والعلم به (١) » .

وقال أبو بكر الصولي : « ويصحح علم علي بالشعر ما جاء به عبد الله بن الحسين قال ، قال لي البحتري : دعاني علي بن الجهم فمضيت اليه ، فأفضنا في أشعار المحدَثين إلى أن ذكرنا أشجع السُّلَمي ، فقال لي : إنه يُخْلِي ، وأعادها مرات ولم أفهمها ، وأنفت أن أسأله عن معناها ، فلما انصرفت فكرت في الكلمة ، ونظرت

(١) أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي ص ٦١ و ٦٢ .

* وانظر هذا الخبر في تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٣ .

في شعر أشجع السُّلَمي ، فإذا هو ربما مرّت له الأبيات مغسولةً ليس فيها بيت رائع ، وإذا هو يريد هذا بعينه ، أنه يعمل الأبيات فلا يصيب فيها ببيت نادر ، كما أن الرامي إذا رمى برشقه فلم يصب فيه بشيء قيل أخلى . قال : وكان علي بن الجهم عالماً بالشعر [1] » .

وفيما بقي من بعض أخباره مع المتوكل والفتح بن خاقان ما يدل على ثقافة أدبية واسعة ، وحسن تصرف [2] بها .

(١) أخبار أبي تمام للصولي ص ٦٣ وانظر أيضاً كتاب الأوراق له قسم أخبار الشعراء ص ٨١ والموشح للمرزباني ص ٢٩٥ .

(٢) انظر ترجمة الفتح بن خاقان في معجم الأدباء لياقوت ٦ — ١٢٠ .

صفته وأخلاقه :

كان علي بن الجهم وسيم الوجه حسن الجسم فارساً شجاعاً ، أشار إلى وضاءة وجهه أبو تمّام الطائي بقوله (١) :

بِأَيِّ نجومِ وجهكَ يُسْتَضاء   أبا حَسَنٍ وشِيمَتُكَ الإِباء

ويشير البحتري إلى سحر جماله بقوله (٢) :

يا عَلِيّ بل يا أبا الحَسَنِ الما   لِكَ رِقَّ الظَّريفةِ الحَسْناء

وعلي نفسه يشير إلى وسامة وجهه وحسن جسمه بقصيدته التي قالها لما صلب مجرّداً من ثيابه بأمر المتوكل (٣) :

نَصَبُوا بمحمد اللهِ مِلْءَ عُيونِهم   حُسْناً وَمِلْءَ صُدورِهِم تَبْجِيلا
ما عابَهُ أنْ بُزَّ عَنْهُ لِباسُهُ   فالسَّيْفُ أَهْوَلُ ما يُرى مَسْلُولا
إنْ يُبْتَذَلْ فالبَدْرُ لا يُزْرِي به   أنْ كانَ ليلةَ تِمِّهِ مَبْذُولا
لَنْ تَسْلُبُوهُ — وَإنْ سَلَبْتُم كُلَّ ما   خَوَّلْتُمُوهُ — وَسامَةً وَقَبُولا

جمع بين الثقافة والفتوة ، وقول الشعر والعلم به ، وأدب النفس وشرف النسب ، والثروة والجاه . سيفه ولسانه سواء فى الصرامة والمضاء ، وكان إلى ذلك ديّنا ، له رأي في الدين واضح ، يجاهر به ويدافع عنه ، وله رأي فى السياسه واضح ثبت عليه مخلصاً له ، ولم تغير الأذية التي أصابه المتوكل بها من رأيه فى السياسة شيئاً . قال أبو بكر الصولي : « سمعت أبا إسحق الحربي يقول : كان علي بن الجهم من كملة الرجال » .

وكان معتداً بنفسه ونسبه ، حسن المحاضرة والمفاكهة ، قويّ العارضة ، يضطلع

(١) ديوان أبي تمام الطائي ص ٣٩٤ .

(٢) مطلع أبيات هجا البحتري بها علي بن الجهم ؛ ديوان البحتري طبعة الجوائب ٢ — ٨٨ .

(٣) تكملة الديوان ص ١٧١ .

بأفانين الحديث والسمر ، نادم المتوكل نحواً من سبع سنوات ، واطلع على ما لم يطلع عليه سواه من أسرار القصر ، وكان يطرف المتوكل بأطيب الحديث وأمتع السمر ، مع سرعة الجواب واستحضار الشاهد. قال : « وجّه إليّ أمير المؤمنين المتوكل ، فأتيته ، فقال لي : يا علي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم الساعة في المنام ، فقمت إليه ، فقال لي : تقوم إليّ وأنت خليفة ! فقلت أبشر يا أمير المؤمنين ؛ أمّا قيامك إليه فقيامك بالسنة ، وقد عدك من الخلفاء . قال فسرّ بذلك (١) » .

وكان ظاهر النعمة مترفاً ، له خدم وعبيد وحجاب ، وفي داره عدد من حسان الإماء ، يجتمع فيها خاصة إخوانه وأصحابه ، فيعمرون مجالس الشعر والأدب والأنس والطرب ، وقد عاتبه مرةً على شدة حجابه عبد الله بن أحمد فقال :

أَعَلِيَّ دونكَ يا عَلِيُّ حِجَابُ ... يُدْنِى البَعيدُ ويُحْجَبُ الأَصحابُ

هذا بإِذنكَ أَمْ برأيكَ أَمْ رَأَى ... هذا عليكَ العبدُ والبَوَّابُ

إِنَّ الشريفَ إِذا أُمورُ عَبيدِهِ ... غَلَبَتْ عليه فأَمْرُهُ مُرْتَابُ (٢)

وللبحتري أبيات يشير بها إلى ما يكون في مجالس أنسه ، يستأنس بها ولو كانت على سبيل الهجاء (٣) .

وكانت فيه دعابة ، يقبل على اللذات ويعاشر القيان ويزورهن ويستزيرهن ، ويغازلهن ويعابثهن ، وتتردد بينه وبينهن الرسائل ؛ وأخباره مع القيان وأخبار القيان معه كثيرة مذكورة في كتب الأدب . وفيما بقي من شعره شواهد على ذلك (٤) .

وكان إلى ذلك ميالاً إلى التحرش برجال الدولة والتمرس بهم ، خاصم الوزير

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧ - ١٧٠ وانظر في معجم الأدباء لياقوت ٦ - ١٢٠ خبراً يدل على ترقه في استعطاف المتوكل على الفتح بن خاقان . وانظر أيضاً تكملة الديوان ق ٦ ص ١٠٦ و ق ٤٢ ص ١٣٦ .

(٢) طراز المجالس ص ٨٣ .

(٣) ديوان البحتري طبعة الجوائب ٢ - ٨٨ .

(٤) الديوان ق ٢٨ ص ٩١ وتكملة الديوان ق ١٤ ص ١١١ و ق ٣٨ ص ١٣٠ و ق ٤٨ ص ١٤٠ و ق ٥٩ ص ١٥٣ و ق ١٠٠ ص ١٨٥ .

الجبار محمد بن عبد الملك الزيات وهو فى عنفوان عزه وجبروته وهجاه كما هجا أبا أحمد بن الرشيد وغيرهما من العظماء ، ولم يكد يسلم من لسانه أحد من ندماء المتوكل ، مع ترفع عن منازلة غير الأكفاء .

على أن صاحب الأغاني كان منحرفاً عن علي بن الجهم متعصباً عليه ، لا يكاد يروي من أخباره إلا ما يغض منه . روى قول من طعن على نسبه ودفعه عن قريش ، ونال من الزبير بن بكّار الذي صحح نسبه . وسمى مذهبه مذهب الحشوية ، وجعل غضب المتوكل عليه لسوء خلقه وتهتكه ، وجرأته على هجاء أبي أحمد بن الرشيد وغيره لأجل المال ، وروى قول من قال عن سبب تركه بغداد : « لمّا شاع فى الناس مذهب علي بن الجهم وشره وذكره كلَّ أحد بسوء من صديقه وعدوه تحاماه الناس ، فخرج عن بغداد إلى الشام » ولم يرو ما ذكره الثقات كالطبري (١) وابن الأثير (٢) والخطيب البغدادي (٣) والمرزباني(٤) من أنه خرج من بغداد إلى الثغر غازيا . ولم يكد يذكر شيئا من محاسنه . ووصفه بأنه شاعر فصيح مطبوع ، والشاعر الفصيح فى اصطلاح أبي الفرج دون الشاعر الفحل ، وقال عن قصيدته التي لم يُقَلْ مثلها وأولها :

قالت حُبِسْتَ فقلتُ ليس بضائرٍ حبسي وأيُّ مُهَنَّد لا يُغْمَدُ

« أحسن شعر قاله فى الحبس » وروى قول من قال ـ وفيه ما يوهم التقريظ ـ « ما شعر علي بن الجهم في الحبس بدون شعر عدي بن زيد » على أن مقطعاً واحداً من قصيدة ابن الجهم خير من كل ما قاله عدي بن زيد من الشعر .

فكم بين هذه الأقوال التي يرويها صاحب الأغاني ، وبين قول أبي اسحق الحربي : « كان علي بن الجهم من كملة الرجال » .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ١١ ـ ٨٦ .

(٢) الكامل ٧ ـ ٣٩ .

(٣) تاريخ بغداد ١١ ـ ٣٦٩ .

(٤) معجم الشعراء ص ٢٨٦ .

مذهبه في الدين والسياسة :

قلَّ في الشعراء من ترددت فى شعره كلمة « الدين » كما ترددت فى شعر علي ابن الجهم ، فقد كان يفخر بالتدين ويمدح به ويرى كل مصيبة دون مصيبة الإنسان فى دينه قال :

إنَّ المَصائبَ ما تَعدَّتْ دِينَهُ ... نِعَمٌ وإنْ صَعُبَتْ عليه قليلا
هل تَمْلِكُونَ لِدِينِهِ وَيقِينِهِ ... وجَنَانِهِ وبيَانِهِ تبديلا [1]

وقال :

مصيبةُ الإنسانِ في دينهِ ... أعْظَمُ من جائحةِ الدَّهْرِ [2]

قال عنه الخطيب البغدادي [3] وابن خلكان [4] وصاحب مرآة الزمان [5] والصلاح الصفدي [6] وابن شاكر الكتبي [7] وصاحب طبقات الحنابلة [8] : « كان متديناً فاضلاً » .

أما مذهبه فمذهب أهل الحديث الذين يقفون عند ظاهر الكتاب والسنة ، يتشدد فى تسننه ، وكان إمام أهل السنة فى عصره الإمام أحمد بن حنبل فمال اليه علي بن الجهم وكان يتردد عليه ويسأله ويروي عنه ، حتى عد من الطبقة الأولى من طبقات الحنابلة ممن روى عن الإمام أحمد . قال عبد الله بن الإمام أحمد : « سمعت أبي وسأله علي بن الجهم عمن قال بالقدر يكون كافراً ؟ قال أبي :

---

(١) تكملة الديوان ص ١٧٣ .
(٢) الديوان ص ٩٧ .
(٣) تاريخ بغداد ١١ - ٣٦٧ .
(٤) وفيات الأعيان ١ - ٤٤١ .
(٥) ورقة ١٦١ (مخطوط) .
(٦) الوافي بالوفيات (مخطوط) ورقة ١٩ .
(٧) عيون التواريخ (مخطوط) ٦ - ١٧٤ .
(٨) ص ١٦٤ .

إذا جحد العلم : إذا قال إن الله لا يعلم ولم يكن عالماً حتى خلق علماً فعلم ، فجحد علم الله فهو كافر [1] » .

ويشيع فى شعره كثيراً ذكر الكتاب والسنة والحديث والأثر وروايته وإسناده ، ويشتد فى شعره على المعتزلة والروافض ومن يسميهم الزنادقة وأهل البدعة والضلالة والأهواء ، ويسمي قصيدة من قصائده « السُّنِّيَّة » .

قال :

وأُسمع إلى غرَّاء سُنِّيَّةٍ يَسْطَعُ منها المسكُ والعَنْبَرُ

مَوْقِعُها من كُلِّ ذي بِدْعَةٍ مَوْقِعُ وَسْمِ النَّارِ أَوْ أَكْثَرُ [2]

ويقول في المتوكل :

وآثَرَ آثارَ النبيِّ محمدٍ فقالَ بما قالَ الكتابُ المُنَزَّلُ [3]

ويقول فى المعتصم :

وآثارُ النبيِّ وَمُسْنَدَاتٌ صَوَادِعُ بالحلالِ و بالحرامِ [4]

ويقول فى أول قصائده فى الحبس :

تَضَافَرَتِ الرَّوافِضُ والنَّصارى وأَهْلُ الإعتزالِ عَلَى هجائي [5]

ويقول في مرثية المتوكل :

فيا ناصِرَ الإِسلامِ غَرَّكَ عُصْبَةٌ زنادقةٌ قد كنتُ قَبْلُ أَذُودُها [6]

(١) طبقات الحنابلة ص ١٦٤ .
(٢) الديوان ص ٧٦ .
(٣) تكملة الديوان ص ١٦٤ .
(٤) الديوان ص ١١ .
(٥) الديوان ص ٨٤ .
(٦) الديوان ص ٦٣ .

ويقول للقاضي أحمد بن أبي دؤاد أحد أئمة المعتزلة :

ما هذهِ البِدَعُ التي سَمَّيْتَها ... بالجهلِ مِنكَ العَدْلَ والتَّوْحِيدا [1]

ويقول له :

كم مجلسٍ للهِ قد عَطَّلْتَهُ ... كي لا يُحَدَّثَ فيه بالإِسنادِ [2]

وأشباه ذلك غير قليل فى شعره . حتى قال فيه ابن أبي الحديد « كان علي بن الجهم من الحشوية شديد النصب عدواً للتوحيد والعدل [3] » وعزا هذا القول إلى أبي الفرج الإصفهاني وهو غير موجود فى الأغاني .

مذهبه في السياسة

كان علي بن الجهم مخلصاً للخلافة العباسية ، فخوراً بالتشيع لها ، يعتقد أن بني العباس أولى الناس بسياسة الأمة وتولي أمورها ، لا تصلح إلا عليهم ، ولا تنقاد إلا إليهم . ومن هنا نراه يفخر بخراسانيته سياسةً كما يفخر بقرشيته نسباً ، وذلك أن خراسان كانت موطناً لآبائه حيناً من الدهر ؛ وأهل خراسان هم الذين نصروا الدعوة العباسية وحملوا رايتها وحاربوا بني أمية ، وكان اعتماد بني العباس عليهم . وفى منهبه السياسي يقول للمتوكل :

مَذْهَبِي وَاضِحٌ وأَصْلِي خُراسَا ... نُ وعِزِّي بِعِزِّكُمْ مَوْصُولُ [4]

ويقول للمتوكل :

نَحْنُ أَشْيَاعُكُمْ مِنَ أَهْلِ خُرَاسَا ... نَ أُولُو قُوَّةٍ وَبأْسٍ شَدِيدِ [5]

نَحْنُ أَبْنَاءُ هٰذِهِ الخِرَقِ السُّو ... دِ وأَهْلُ التَّشَيُّعِ المحمودِ

(١) تكملة الديوان ص ١٢٥ .

(٢) تكملة الديوان ص ١٢٨ .

(٣) شرح نهج البلاغة ١ - ٢٦٣ .

(٤) الديوان ص ٢٦ .

(٥) الديوان ص ٣٤ .

إنْ رَضِيتُمْ أَمْراً رَضِينا وإنْ تَأْ بَوْا أَبَيْنا لكم إباءَ الأُسُودِ
لا نُوالي لكم عَدُوّاً ولا نَحْ مِلُ ضِغْناً عَلَى الوَلِيِّ الوَدُودِ
حَسْبُنَا اللهُ والخليفةُ مِنْ بَعْ دُ وَمِنْ بَعْدِهِ وُلَاةُ العُهُودِ

ومن هنا منشأ انحرافه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن بنيه الذين يقولون إنهم أحق بالخلافة من بني العباس . ومسألة الخلافة فى ذلك العصر لم تقف عند حدود السياسة بل تعدتها إلى أصول الدين ، فشيعة العلويين يقولون إن علياً رضي الله عنه هو الوصي ، وأولاده من بعده هم أصحاب الحق ، وشيعة العباسيين يقولون إن العباس رضي الله عنه هو الوارث ، وأولاده من بعده هم أصحاب الحق . وللشعراء من كل شيعة أقوال فى هذا الشأن ، يوردون حججهم الخطابية ويرد بعضهم على بعض ، ولعلي بن الجهم فى هذا المعنى قوله من قصيدة فى المعتصم :

أَمَا وَمُحَرِّمِ البيتِ الحَرامِ يميناً بينَ زَمْزَمَ والمَقَامِ[1]
لَأَنتم يا بني العبَّاسِ أَوْلَى بِمِيرَاثِ النبيِّ منَ الأَنامِ
تُجَادِلُ سُورَةُ الأَنْفَالِ عنكم وفيها مَقْنَعٌ لذوي الخِصامِ
وآثارُ النبيِّ وَمُسْنَداتٌ صَوَادِعُ بالحَلالِ وبالحَرامِ
مَوَدَّتُكُمْ تُمَحِّصُ كُلَّ ذَنْبٍ وتُقْرَنُ بالصَّلاةِ وبالصِّيامِ
ورافضةٍ تقولُ بِشِعْبِ رَضْوَى إِمامٌ ، خابَ ذلك منْ إمامِ
إمامي مَنْ له سبعونَ أَلفاً من الأَتراكِ مُشْرَعَةَ السِّهامِ
إذا غَضِبوا لدينِ اللهِ أَرْضَوْا مَضَارِبَ كُلِّ هِنْدِيٍّ حُسامِ

ويقول من قصيدة للمتوكل :

(١) الديوان ص ١١ .

أَغَيْرَ كتابِ اللهِ تَبغُونَ شاهِداً ... لكمْ يا بني العبَّاسِ بالمجدِ والفخرِ [1]

كفاكم بِأَنَّ اللهَ فوَّضَ أَمْرَهُ ... إليكم وأَوحى أَن أَطيعوا أُولي الأَمرِ

ولن يُقْبَلَ الإِيمانُ إلاَّ بحبكم ... وهلْ يَقبَلُ اللهُ الصَّلاةَ بِلاطُهْرِ

ويقول له :

يا أَبا الفضلِ يَا ابْنَ عَمِّ رَسولِ اللّـ ... ـهِ أَنتَ المُؤمَّلُ المحذورُ [2]

والمكنيُّ بكنيةِ الوارثِ العبا ... سِ والمكتني به المنصورُ

ولذلك يصفه صاحب الأغاني بقوله : « وكان ينحو نحو مروان بن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب وذمهم والإغراء بهم وهجاء الشيعة [3] »

ويقول ابن أبي الحديد : « كان مبغضاً لعلي عليه السلام ينحو نحو مروان بن أبي حفصة في هجاء الطالبيين وذم الشيعة [4] » .

وهجاه البحتري بذلك فقال :

إذا ذُكِرَتْ قُرَيْشٌ للمعالي ... فلا في العِيرِ أنتَ ولا النَّفيرِ [5]

عَلامَ هَجَوْتَ مُجتهِداً عَلِياً ... بما لَفَّقْتَ من كَذِبٍ وَزُورِ

وقال :

إنْ وَقَعَتْ سُوقُكَ أَوْ أَكْسَدَتْ ... بِضَاعَةٌ من شعرِكَ الخائِبِ [6]

أَنحيتَ كي تُنفِقَها زارياً ... عَلَى عَلِيِّ بنِ أَبي طالبِ

---

(١) الديوان ص ١٤٨ .

(٢) الديوان ص ٣٦ .

(٣) الأغاني ١٠ – ٢٠٥ .

(٤) شرح نهج البلاغة ١ - ٢٦٢ .

(٥) ديوان البحتري طبعة الجوائب ٢ - ٩٩ والأغاني ١٠ - ٢٠٦ .

(٦) ديوان البحتري طبعة الجوائب ٢ - ١٠٧ . وانظر طبعة بيروت ص ٥٦٠ فقد ذكر انهما قيلا – ٣٠ – في الحسن بن رجاء

شعره :

علي بن الجهم شاعر مطبوع ، أظهر خصائص شعره الطبع والجزالة ، وتأدية المعنى على أوضح السبل وأيسرها ، يقل فى شعره التقديم والتأخير ، والحذف والتقدير ، وما يقتضى إدامة النظر ، وإعمال الفكر . بصير بحدود الكلام ، مقتصد في تشبيهاته واستعاراته ؛ وهو من أقل شعراء عصره صنعة ، لا تكاد تجد في شعره شيئاً من المحسنات اللفظية ، وإذا وجدت فعن غير قصد منه ، وكثيراً ما يغفل التصريع فى مطالع قصائده شأن المطبوعين من الشعراء . وهذه أمثلة من مطالع قصائده :

ما زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّ المُلُوكَ ۝ تَبْـنِي عَلَى قَدْرِ أَخْطارِها (١)

* * *

هذا العَقِيقُ فَعَدِّ أَيْـ ۝ ـدِي العِيسِ عن غُلَوائِها (٢)

* * *

قالتْ حُبِسْتَ فقلتُ ليس بِضائرٍ ۝ حبسي وأيُّ مُهَنَّدٍ لا يُغْمَدُ (٣)

* * *

خَلِيلَيَّ ما لِلْحُبِّ يَزْدادُ جِدَّةً ۝ عَلَى الدهرِ والأَيَّامُ يَبْلَى جَدِيدُها (٤)

* * *

عَفَا اللهُ عنكَ أَلَا حُرْمَةٌ ۝ تَعُوذُ بِعَفْوِكَ أَنْ أُبْعَدا (٥)

* * *

(١) الديوان ق ٩ ص ٢٨ .
(٢) الديوان ق ١٣ ص ٣٧ .
(٣) الديوان ق ١٤ ص ٤١ .
(٤) الديوان ق ١٦ ص ٥٠ .
(٥) الديوان ق ٢٤ ص ٧٧ .

لم يَنْصِبُوا بالشَّاذِيَاخِ صَبِيحَةَ الإِ ... ثنينِ مَغْمُوراً ولا مجهولا [1]

* * *

وما رأيته يتعمد الصنعة إلا فى قطعتين من شعره ، الأولى يصف بها سفراً له فى الليل فيقول :

كَمْ قد تَجَهَّمَني السُّرى وأزالَني ... ليلٌ يَنُوءُ بصدرِهِ مُتَطاوِلُ

وهَزَزْتُ أعناقَ المَطِيِّ أَسُومُها ... قَصْداً ويَحْجُبُها السَّوادُ الشَّامِلُ

حتى تَوَلّى الليلُ ثانِيَ عِطْفِهِ ... وكأنَّ آخِرَهُ خِضابٌ ناصِلُ

وخرجتُ من أعجازِهِ وكأنما ... يَهْتَزُّ في بُرْدَيَّ رُمْحٌ ذابِلُ

ورأيتُ أغْبَاشَ الدُّجى وكأنَّها ... حِزَقُ النَّعامِ ذُعِرْنَ فهي جَوافِلُ

وحَمَيْتُ أُصحابي الكَرى وكأنَّهم ... فَوْقَ القِلاصِ اليَعْمَلاتِ أَجادِلُ [2]

والثانية يرثي بها أبا تمَّام الطائي فيقول :

غَاضَتْ بَدائِعُ فطنةِ الأَوهَامِ ... وعَدَتْ عليها نكبةُ الأيَّامِ

وغدا القَرِيضُ ضَئيلَ شَخْصٍ باكياً ... يَشْكُو رَزِيَّتَهُ إلى الأقلامِ

وتأَوَّهَتْ غُرَرُ القوافي بعده ... ورمى الزمانُ صحيحَها بِسَقامِ

أَوْدى مُثَقِّفُها ورائِضُ صَعْبِها ... وغَدِيرُ رَوْضَتِها أبو تَمَّامِ [3]

فكثرة الاستعارة والتشبيه فى الأولى ، وغرابة الاستعارة فى الثانية لا تكون إلا عن قصد وتعمد ، وهذه طريقة أبي تمام ، ولعل علياً لم يسلك هذه الطريقة عن قصد إلا فى هاتين القطعتين .

(١) تكملة الديوان ق ٨٢ ص ١٧١ .

(٢) تكملة الديوان ق ٧٧ ص ١٦٨ .

(٣) تكملة الديوان ق ٩١ ص ١٨١ .

وشعره في شبابه أشبه بشعر المطبوعين من العرب ، لحن شجٍ ، وعاطفة جيَّاشة ، وانتقال سريع من معنى إلى آخر ، كقصيدته فى المعتصم التي أولها :

مَتى عَطِلَتْ رُبَاكِ من الخيامِ   سُقِيتِ مَعَاهِداً صَوْبَ الغَمامِ (١)

فلما اكتهل صار أميل إلى تسلسل المعنى وتوليده والانتصاف منه ، فقصيدته الدالية فى الحبس وحدة تامـــة متسلسلة ، وكذلك أكثر قصائده التي قالها فى المتوكل أو فى زمانه .

والجزل المحكم من شعره أشبه بشعر فحول الجاهليين والمخضرمين ، كزهير بن أبي سُلمى والنابغة الذبياني والحُطَيْئة ، مثال ذلك قوله :

يُعاقِبُ تأديباً ويعفو تَطَوُّلاً   ويَجْزي عَلَى الحُسْنَى ويُعْطِي فيُجْزِلُ (٢)

ولستَ بِبَحْرٍ أنتَ أعْذَبُ مَوْرِداً   وأنْفَعُ للرَّاجي نَداكَ وأشْمَلُ

وقوله :

ولا يَجْمَعُ الأموالَ إلَّا لِبَذْلِهَا   كما لا يُساقُ الهَدْيُ إلَّا إلى النَّحْرِ (٣)

وما قاله من الشعر فى أيام محنته من أجود الشعر ، وأحسنه قصيدته الداليـة فى الحبس فهي من القصائد الخالدة ، لم يقل فى معناها مثلها ، أبدع فى ابتكار معانيها وتسلسلها كما أبدع فى صوغها .

يتناول المعنى البعيد فيعرضه قريباً من الفهم ، ويتصرف بالمعنى الواحد على عدة وجوه سلباً وإيجاباً فيحسن ويبدع .

شبَّه نفسه لما حبس بالسيف في غمده ، والأسد فى غيله ، والبدر فى سراره ، والشمس فى حجابها . ثم لما صلب مجرَّداً من ثيابه ، شبَّه نفسه بالسيف المسلول ،

(١) الديوان ق ١ ص ٣ .

(٢) تكملة الديوان ص ١٦٥ و ١٦٦ .

(٣) تكملة الديوان ص ١٤٧ .

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

والبدر الطالع ، أحسن وأروع ما يكونان وهما عريانان . ولقد أعجب ابن المعتز بتوليد هذه المعاني وبالغ في استحسانها حتى جعل ابن الجهم أشعر الناس (١) .

على أن هذه المعاني المبتكرة لا تجتمع فى كل قصيدة من شعره ، بل تختلف قلةً وكثرةً ، ولو تكلفها لما صعبت عليه ، ولكن سبيله سبيل المطبوعين يساير الشعر مسايرةً ولا يقتسره اقتساراً (ب) . وهو فى كثير من شعره حريص على حسن تأدية المعنى أكثر من حرصه على ابتكاره .

قال أبو بكر الصولي : « حدثني عون بن محمد قال أنشدني علي بن الجهم قصيدته الدالية فأعجبني ، فقلت : أسألك الله ، أسبقك أحد إلى قولك فيها :

شَهِدُوا وغِبْنا عَنْهُمُ فَتَحَكَّمُوا فينا وليسَ كغائبٍ مَنْ يَشْهَدُ

وما بعده من الأبيات ؟ فقال : قولي أحسن من قول من سبقني ، قلت ومن هو ؟ قال أشجع السُّلَمي بقوله من أبيات :

وقد شَهِدَتْ عُيُونُهُمُ فقالتْ عَلَيَّ وغُيِّبَتْ عنهم عيوني (٢) »

ويكثر فى شعره على اختلاف معانيه الحِوار بينه وبين متكلم أو مخاطَب ف « قالت ... وقلت ... » غير قليل فى قصائده ، وهذا الأسلوبِ من القول لا يستقيم إلا لشاعر قدير . ولا محل لإيراد الشواهد لكثرتها (٣) .

والباعث عنده على قول الشعر إرواء غلة نفسه من حب أو بغض أو فرح أو حزن ، وكان يترفع عن التكسب بشعره ، ولم يمدح إلا الخلفاء ولا سيما المتوكل منهم الذى كان ينادمه . وفى هذا المعنى يقول :

وقَصِيدةٍ غَرَّاءَ يَفْـ ـنى الدهرُ قبلَ فَنائِها

لم تَسْتَمِـحْ أيدي الرجا لِ بِمَدْحِها وهِجائِها

(١) طبقات الشعراء ص ١٥٢ .

(٢) كتاب الأوراق للصولي قسم أخبار الشعراء ص ٨٩ والخبر هناك أطول .

(٣) انظر الديوان ق ١٦ ص ٥٠ و ق ٢٣ ص ٧١ وتكملة الديوان ق ٥١ ص ١٤١ و ق ٨٩ ص ١٨٠ .

(ب) كان أبو يعقوب الخريمي يقول « لا أجاذب الكلام إلا أن يساهلني عفواً » تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤٣٤/٢ .

خُصَّ الخليفةُ جعفرُ بنُ محمَّدٍ بِثَنائِها [1]

وأكثر موضوعاته تترجم عن نفس شاعرة مأخوذة بمظاهر الجمال على تنوعها ، كالرياض والأزهار والمياه والسحب ، فضلاً عن حسن الوجوه وسحر العيون وهيف القدود .

ولعل أصدق شاهد على شاعريته ، قوله يصف نفسه إذا أخذه حالٌ من أحوال الشعر ، فأحيا ليله بين القوافي وهي تتراءى لخاطره :

أعاذِلَ لَوْ أضافَكِ جُنْحُ لَيْلٍ إليَّ وأَنْتِ وَاضِعَةُ اللِّثَامِ

لَسَرَّكِ أَنْ يكونَ الليلُ شهراً وأَلْهَاكِ السُّهَادُ عن المَنامِ

وعَنَّتْ كُلُّ قافيةٍ شَرُودٍ كَلَمْحِ البرقِ أو لَهَبِ الضِّرامِ

عَلَى أعجازِها قَرْمٌ إذا ما عَنَاهُ القَوْلُ أَوْجَزَ في تمامِ

شَوارِدُ إنْ لَقِيتَ بِهِنَّ جَيْشاً صَرَفْنَ مَعَرَّةَ الجيشِ اللُّهَامِ

وإنْ نازَعْتَهُنَّ الشُّرْبَ كانت مُداماً أو أَلَذَّ مِنَ المُدامِ [2]

ما سبق ذكره من خصائص شعره يصح على أكثر شعره ، على أن منه الحسن والأحسن ؛ ولكن هناك نوعاً كان يقوله في حال لا يقصد فيها إلى التجويد ، كأن يكون مع المتوكل فيطلب إليه أن يرتجل أبياتاً فيما يحدث بينه وبين جواريه وحظياته .

وأبواب شعره يمكن إرجاعها إلى المديح والرثاء والوصف والغزل والفخر والحكمة والهجاء ، وهناك باب جديد لعله أول من نظم فيه ، وهو نظم حوادث التاريخ الإسلامي .

وشعره فى المدح جزل رصين ، فيه إحكام ودقة ، وإشادة بما خُصَّ به الممدوح من المزايا والفضائل ، لا من ذاك النوع من المدح الذي يجوز أن يمدح به كل

---

(١) الديوان ص ٣٨ .

(٢) الديوان ص ٥

إنسان . فقصيدته فى المعتصم لا يمكن أن تقال في غير المعتصم ، وكذلك قصائده فى المتوكل . حتى إن طائفة من قصائده المدونة فى مخطوطة هذا الديوان ورد فى عناوينها أنها قيلت في الواثق ، وهي تنادي على نفسها أنها قيلت فى المتوكل ، وقد نبهنا إلى ذلك فى مواضعه .

وهذه من مزايا الشاعر الذي يضع الأشياء فى مواضعها . ويعني ما يقول ، ولا يرسل الكلام جزافاً .

ولم يمدح إلاّ خليفة ، وليس في مدحه للخلفاء طلب أواستجداء ، وما قصيدته فى المعتصم إلا تعبير عن تقدير الأمـــة لبطولته فى فتح عمورية ، والقضاء على بابَك الخُرَّمي الذي حارب الدولة أكثر من عشرين سنة ، وغيره من الخارجين على الخلافة .

قال ابن رشيق فى العمدة ١/٢٠ « قال علي بن الجهم فى مدح المتوكل :

وما الشِّعْرُ مما أَسْتَظِلُّ بِظِلِّهِ ... ولا زادني قَدْراً ولا حَطَّ من قَدْري

ثم قال :

ولكنَّ إحْسانَ الخليفةِ جعفرٍ ... دعاني إلىٰ ما قلتُ فيه من الشِّعْرِ

فذكر أنه لا يستظل بظل الشعر ، أي لا يتكسب به ، وأنه لم يزده قدراً ، لأنه كان نابهَ الذكر قبل عمل الشعر ، ثم قال : — ولا حط من قدري — فأحسن الاعتذار لنفسه وللشعر ، يقول ليس الشعر ضعة في نفسه ، ولا صنعته فيمن دون الخليفة ؛ وما كفاه ذلك ، حتى جعل نفسه بإزاء الخليفة بل مكافئاً له بشعره على إحسان بدأه الخليفة به ، ولم يرض أن يجعل نفسه راغباً ولا مجتدياً » .

وكأنه لم يجد فى الواثق ما وجده فى المعتصم ، فلم يقل فيه إلا أبياتاً هي أشبه بالأناشيد والأغاني وزناً ومعنىً .

فلما بويع المتوكل وجد فيه الإمام المنتظر لاتفاقهما في الرأي والمذهب ، وغلوهما في التسنن ، فأكثر من مدحه وتفنن فيه ، من ذلك قصيدة [1] قالها لمّا بويع المتوكل شرح فيها خطة الخليفة فى الحكم وسياسة الأمـة ، فكانت أشبه بما يسمونه

(١) الديوان ق ٢٣ ص ٧١ .

اليوم « خطاب العرش » وحمل فيها على المعتزلة وغـلاة الشيعة وغيرهم ممن سماهم الزنادقة وأهل البدع والأهواء . وهناك قصيدة [١] بدأها بوصف قصر من قصور الخليفة أبدع فيها غاية الإبداع . وثالثة [٢] بدأها بحوار غزلي ساحر سارت مسير الشمس . وهكذا بقيـــة قصائده فيه ، لكل قصيدة صورة خاصة تنوه بخصائص الخليفة وتترجم عن معان وحوادث تتصل برأي الشاعر ومذهبـــه ، كما تتصل بفنه وشاعريته .

ولم يبق من شعره فى الرثاء إلاّ أبيات [٣] رثى بها أبا تمام الطائي جرى فيها على سنن أبي تمام فى غرابة الاستعارة ، كأنه أراد أن يودع صديقه أبا تمام بأسلوبه الخاص به . وقصيدة [٤] فى رثاء عبد الله بن طاهر ليس فيها ما يستحق التنويه . وقصيدة [٥] فى رثاء المتوكل هي من أعجب الشعر ، تدل على وفاء عظيم بعد أن آذاه المتوكل ، وفى أولها موقف شعرى بديع ، وصف فيه سحابة كأنه جعلها رمزاً للمتوكل ، ثم غلبه الحزن فخرج من الكناية إلى التصريح ، والقصيدة بجملتها من القصائد البارعة .

أما شعره فى الوصف ففيه براعة ودقة ، وهو في هذا الباب مجيد محسن ، يصور الموصوف كأنك تراه بما فيه من جليل ولطيف ، وربما كان هذا الباب من أقوى مظاهر شاعريته ، وأدلها على قوة ملاحظته ، ورقة شعوره وحسن بيانه وقوة إبداعه . وقد بقى لنا من وصفـــه قليل من القصائد والمقطعات كوصف القصر

---

(١) الديوان ق ٩ ص ٢٨ .

(٢) تكملة الديوان ق ٥١ ص ١٤١ .

(٣) تكملة الديوان ق ٩١ ص ١٨١ .

(٤) تكملة الديوان ق ٩٤ ص ١٨٢ .

(٥) الديوان ق ١٨ ص ٥٦ .

والفوّارة (١) والبركة (٢) والمركب (٣) والسحابة (٤) والصيد (٥) وبيت القيان (٦) والليل (٧) والورد (٨) والشطرنج (٩) ووقعة خُساف (١٠) ومجلس من مجالس اللهو (١١) . وفى هذا الباب تتجلى شاعريته وقوة ابتكاره ، يقول فى وصف الفوّارة :

وفَوَّارَةٍ ثَأْرُها في السَّماءِ فَلَيْسَتْ تُقَصِّرُ عن ثَارِها
تَرُدُّ عَلَى المُزْنِ ما أَنْزَلَتْ عَلَى الأَرْضِ من صَوْبِ مِدْرَارِها

ويعجبني كثيراً قوله في وصف البركة :

مِنْ أيِّ أَقْطَارِها أَتَيْتَ رَأَيْـ ـتَ الْحُسْنَ حَيْرانَ في جَوانِبِها

وإيراد الشواهد على ذلك يطول مع وجودها فى الديوان وتكملته .

وشعره فى الغزل من عيون الشعر ، وذلك أنه كان بطبعه ميالاً إلى اللهو والتمتع بالجمال على اختلاف مظاهره ، وساعد على ذلك وسامة وجهه ، وذلاقة لسانه ، وحسن بيانه ، وكونه من الطبقة العليا ، ثم اختصاصه بالمتوكل ومنادمته له نحواً من سبع سنين ، وشهوده مجالس اللهو والغناء فى قصور الخلافة . وله فلسفة فى تفسير الهوى جديرة بالتأمل قال :

(١) الديوان ق ٩ ص ٢٨ .
(٢) الديوان ق ١٠ ص ٣٢ .
(٣) تكملة الديوان ق ١٧ ص ١١٤ .
(٤) الديوان ق ١٨ ص ٥٦ .
(٥) تكملة الديوان ق ٢٣ ص ١٢٠ .
(٦) الديوان ق ١٧ ص ٥٢ .
(٧) تكملة الديوان ق ٧٧ ص ١٦٨ .
(٨) الديوان ق ٢٧ ص ٨٩ وتكملة الديوان ق ١٣ ص ١١١ و ق ٥٨ ص ١٥٢ و ق ٨١ ص ١٧١ و ق ٩٢ ص ١٨١ .
(٩) تكملة الديوان ق ٨٨ ص ١٧٩ .
(١٠) تكملة الديوان ق ٣٩ ص ١٣١ .
(١١) تكملة الديوان ق ٥ ص ١٠٥ .

خَلِيلَيَّ الهَوى خُلُقٌ كَرِيمٌ   تُقَصِّرُ عنهُ أَخْلاَقُ اللِّئَامِ
وفاءٌ إِنْ نَأَتْ بالجارِ دارٌ   ورَعْياً لِلمَوَدَّةِ والذِّمَامِ (١)

وهو على إحسانه فى تصوير الشوق وتبريح الهوى ، شديد الشعور بنفسه كأنه يحاول أن يقول إن وجد المرأة به كوجده بالمرأة ، أو أنه يجب أن يكون كذلك . ويكثر فى غزله الحوار بينه وبين النساء ، فقصيدته الرصافية (٢) مبنية على ذلك ، وله غيرها (٣) سلك فيه هذا الأسلوب القريب من أسلوب عمر بن أبي ربيعة . وغزل ابن الجهم مما يتغنى به ويرغب فيه ، ويتنافس به الحسان يكتبنه على راحهن وأكفهن وأقدامهن ، وعلى الحجال والكلل وعلى أطباق الورد (٤) . وقد بالغ ابن شرف القيرواني باستحسان قصيدته الرصافية فقال : « .... وله فى الغزل الرصافية ، وفي العتاب الدالية ، ولو لم يكن له سواهما ، لكان أشعر الناس بها » (٥).

ولشدة اعتداده بنفسه يشيع الفخر فى كثير من قصائده على اختلاف موضوعاتها ، فيفخر بنفسه ونسبه ودينه وعلمه وبيانه وشجاعته وكرمه ووسامته ، يكثر من ذكر قريش وفروعها لاتصال نسبه بها . ويسمى القرشيين آل الله :

أَبَتْ لي قُرُومٌ أَنْجَبَتْنِي أَنْ أُرَى   وإِنْ جَلَّ خَطْبٌ خاشِعاً أَتَضَجَّرُ (٦)
أُولَئِكَ آلُ اللهِ فِهْرُ بنُ مالكٍ   بهم يُجْبَرُ العَظْمُ الكَسِيرُ ويُكْسَرُ

يتجلد للمصائب ولا يتضعضع ، ويتماسك ولا يهن ، ويرى نفسه وإنْ أُوذي وسُجن ونُفي وصُلب أسمى من أن يناله هوان ، أو ترهقه ذلة ، ولم يستسلم فى محنته إلاَّ لله وذلك لايمانه وتدينه :

(١) الديوان ص ٥ .
(٢) انظر تكملة الديوان ق ٥١ ص ١٤١ .
(٣) انظر الديوان ق ١٦ ص ٥٠ وتكملة الديوان ق ٨٩ ص ١٨٠ .
(٤) انظر الظرف والظرفاء للوشاء ص ١٤٥ و ١٤٨ و ١٥١ .
(٥) أعلام الكلام ص ٢٣ .
(٦) تكملة الديوان ق ٣٩ ص ١٣٠ .

تَوَكَّلنا عَلَى رَبِّ السَّماءِ   وسَلَّمْنا لأسبابِ القَضاءِ (1)

ولئن كان في فخره شيء من التيه والتعاظم ، فليس فيه بأو أو تبجح فارغ .

وفي شعره بدوات متفرقة من الأدب والحكمة مقتبسة من الدين وآداب السنة ومن الأخلاق العربية ، لمكان الدين من نفسه ، كمحاسبة النفس وأخذها بالتصبر في النوائب ، واصطناع المعروف ، وإغاثة الملهوف ، والمروءة والحياء والهمة والكرم (2) .

ولو وصل إلينا جميع شعره لوصل معه هجاء كثير فقد قال المسعودي : « ... وكان في لسانه فضل قلَّ من يسلم معه منه (3) » على أن البقية الباقية منه تدل على جرأة عجيبة ، فقد هجا أحد أمراء البيت العباسي وهو أبو أحمد بن الرشيد ، ولم يكد يسلم من لسانه أحد من رجال الدولة وبطانة الخلفاء ، كمحمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم والواثق ، وعبيد الله بن خاقان وزير المتوكل ، وقاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد ، وابنه أبي الوليد ، وعمر بن الفرج الرُّخَّجي . وكان يتعالى على ندماء المتوكل فسعوا به إلى الخليفة وأقنعوه بأنه هجاه فلم يستبعد ذلك ، وكانت هذه المكيدة سبب محنته ، فأنشأ يمزق أعراضهم بقصائده التي كان يبعث بها من سجنه إلى المتوكل ، يدافع عن نفسه ويهجو هؤلاء الذين افتروا عليه وكادوا له ، وهو في هجائه خصم لدود عالم بالمقاتل ، لا يتورع عن هتك الأعراض وانتهاك الحرم بالجد والسخر ، وتنتابه في هجائه حمية جاهلية تطغى على ما طالما تمدح به من التدين والأخذ بآداب السنة . ولم يهج إلا الأمراء والوزراء والقضاة وكبار رجال الدولة وحاشية الخلفاء وأسبابهم . أما الشعراء فكأنه لم يرهم أكفاء له ، فلم يهجهم ولو تعرضوا إليه ، هجاه البحتري (4) ثلاث مرات فلم يجبه ، وهجاه مروان ابن أبي الجنوب (5) بحضرة المتوكل في مجلس من مجالس سمره فقال :

(1) الديوان ق ٢٥ ص ٨١ .

(2) انظر الديوان ق ٢١ ص ٦٨ و ق ٣٠ ص ٩٣ و ق ٣٧ ص ٩٧ وتكملة الديوان ق ١ ص ١٠٣ و ق ١٢ ص ١١٠ و ق ٣٢ ص ١٢٧ و ق ٦٧ ص ١٥٧

(3) مروج الذهب ٢ — ٢٧٥ .

(4) انظر ديوان البحتري طبعة الجوائب ج ٢ ص ٨٨ و ٩٩ و ١٠٧ .

(5) الأغاني طبعة الساسي ١١ — ٣ .

لَعَمْرُكَ ما الجَهْمُ بنُ بَدْرٍ بشاعرٍ ... وهذا عَليٌّ بَعْدَهُ يَدَّعِي الشِّعْرا
ولكن أبي قد كان جاراً لأُمِّهِ ... فَلَمَّا ادَّعَى الأَشْعارَ أَوْهَمَني أمْرا

فأعرض عنه احتقاراً [1] ، فقال له المتوكل أجبه ، قال لقد كظَّني النبيذ يا أمير المؤمنين ، قال هذا عي ولا بد من إجابته ، فأطرق ساعة ثم قال علي بالدواة ، فأتي بها فكتب :

بَلاءٌ ليس يُشْبِهُهُ بَلاءٌ ... عَداوَةُ غيرِ ذي حَسَبٍ ودِينِ
يُبيحُكَ منه عِرْضاً لم يَصُنْهُ ... ويَرْتَعُ منك في عِرْضٍ مَصُونِ

وله أبيات فى السخرية من مغن [2] ومن آخر تدل على مافى طبعه من الدعابة والتهكم .

وهناك باب آخر فى شعره نظن أن علي بن الجهم أول من فتحه فى الشعر العربي ، وهو نظم الحوادث والتاريخ الإسلامي ، أو نظم إلياذة عربية تشتمل على سيرة الخلفاء وفتوحهم ، فقد ذكر ياقوت فى معجم الأدباء [3] أن له قصيدة ذكر فيها تاريخ الخلفاء إلى زمانه ، ونرجح أنه أول من حاول أن يدون سير الخلفاء شعراً ، وأن يروض الشعر العربي على هذا النحو من الموضوعات الغريبة عنه . وما نرى الباعث له على ذلك إلا هواه السياسي فى تأييد الدعوة العباسية والتنويه بعظمتها .

نعم لقد نظم أبان بن عبد الحميد اللاحقي شاعر البرامكة كتاب سيرة أردشير وكتاب سيرة أنو شروان [4] ؛ ولكن أحداً من الشعراء لم يسبق علي بن الجهم فيما نظن إلى نظم تاريخ الخلفاء ، فهو الذي فتح هذا الباب فولجه من بعده ابن المعتز فنظم مزدوجة طويلة فى سيرة الخليفة المعتضد [5] ، وتلاه ابن عبد ربه فنظم

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ - ٢٦٤ .

(٢) تكملة الديوان ق ٢ ص ١٠٣ و ق ١٩ ص ١١٧ .

(٣) معجم الأدباء ٢ - ٦٢ في ترجمة أبي الحسن أحمد بن محمد الأنباري .

(٤) الفهرست ص ١١٩ .

(٥) ديوان ابن المعتز « مطبعة المحروسة بمصر » ١ - ١٢٦ .

مغازى عبد الرحمن الثاني [1] ، ثم نظم أبو طالب عبد الجبار الأندلسي مزدوجة ذكر فيها الخلفاء فى الشرق والغرب [2] ومهد لهـــا بفصول « فى بدء الخليقة وذرء البرية » . (ب)

أما قصيدة علي بن الجهم التي ذكرها ياقوت فقد ضاعت مع ما ضاع من شعره ، ولكننا ظفرنا بقطعة [3] فى « بدء الخلق والذرء » نظن أنها من أوائل القصيدة الضائعة . والذى حملنا على هذا الظن قصيدة أبي طالب الأندلسي الممهد لها بفصل عنوانه « بدء الخليقة وذرء البرية » وهو على الأرجح اتبع طريقة ابن الجهم واقتفى أثره .

وهكذا صنع الفردوسي (٣٢٩ — ٤١١) فى الشاهنامة التي نظم فيهـا سيرة ملوك الفرس ، مهّد لها بفصل فى خلق [4] العالم وفصل فى خلق الإنسان .

(ب) ظفرنا بهذه القصيدة بعد طبع الديوان فألحقناها به انظر ص ٢٢٥

(١) العقد ٥ — ٢٦٢ طبعة العريان .

(٢) الذخيرة لابن بسام القسم الأول من المجلد الثاني ص ٤٠٥ و ٤١٢ .

(٣) انظر تكملة الديوان ق ٦٨ ص ١٥٧ .

(٤) انظر الشاهنامة ترجمة الفتح بن علي البنداري ج ١ ص ٦ و ٧ .

لغته :

علي بن الجهم شاعر مطبوع فصيح ، عذب الألفاظ ، سهل الكلام ، لا غرابة فى لغته ، ولا تعقيد فى نظمه ، فى شعره الجزل الرصين ، والرقيق العذب . وهو على صحة طبعه ، عالم بالشعر بصير بنقده ، يحسن اختيار اللفظ ويضعه حيث ينبغي أن يكون ، وكلامه مما يستشهد به على سبيل الاستئناس . وله — كما لكل شاعر — ألفاظ تحظى عنده وتدور على لسانه أكثر من غيرها ، ومن الألفاظ التي يكثر ورودها فى شعره مادة « عقب » ومشتقاتها ، ولفظه الأعجاز ، مثال ذلك :

وَلِكُلِّ حالٍ مُعْقِبٌ ولربَّما أَجْلى لكَ المكروهُ عماً يُحْمَدُ [1]

أَنْشَأْتَها بِرْكَةً مباركةً فبارك اللهُ في عَواقِبِها [2]

وعاقِبَةُ الصَّبرِ الجميلِ جميلةٌ وأَفضلُ أخلاقِ الرجالِ التَّفَضُّلُ [3]

وَتَرْنَ وللصباحِ مُعَقِّباتٌ تَقَلَّصُ عنه أَعْجازَ الظلامِ [4]

عَلَى أَعْجازِها قَرَمٌ إذا ما عَناهُ القولُ أَوْجَزَ في تَمامِ [5]

وخرجتُ مِنْ أَعْجازِهِ وكأَنَّما يَهْتَزُّ في بُرْدَيَّ رُمْحٌ ذابلَ [6]

وتتردد فى شعره الألفاظ الدينية مثل الدين والكتاب والسنة والحديث والأثر والآثار والمسندات والإسناد .

---

(١) الديوان ص ٤٤ .
(٢) الديوان ص ٣٢ .
(٣) تكملة الديوان ص ١٦٣ .
(٤) الديوان ص ٨ .
(٥) الديوان ص ٦ .
(٦) تكملة الديوان ص ١٦٨ .

ويستعمل فعل « أشاد » للذم ، بخــلاف ما عليه أكثر البلغاء ، إذ المشهور أنه للمدح وإن كان من معانيه إشاعة المكروه والقبيح قال :

فبأيِّ ذَنْبٍ أصْبَحتْ أعْرَاضُنا نَهْباً يُشِيدُ بها اللئيمُ الأوْغَدُ (١)

أشاعَ وزيرُ السوءِ عنكَ عجائباً يُشِيدُ بها في كل أرضٍ مُشِيدُها (٢)

وكثيراً ما يجعل همزة الوصل همزة قطع مثال ذلك قوله :

أيْقَنَتْ مِرَّةُ الحوادثِ أنْ ليـ سَ إلىٰ الإِنتصارِ منها سبيلُ (٣)

إنْ ذُلَّ السؤالِ والإِعتذارِ خُطَّةٌ صعبةٌ عَلَى الأحرارِ (٤)

واستعمل نون التوكيد الخفيفة بعد ألف التثنية خلافاً للجمهور فقال :

وإيَّاكُما والخمرَ لا تقرَبَانِها كفىٰ عِوَضاً عنها الشَّرابُ المُعَسَّلُ (٥)

وهناك ألفاظ وردت في شعره لم أجدها فيما رجعت إليه من كتب اللغة ، فقد توسع في اشتقاق بعضها وتجوز في استعمال بعضها ، فمن ذلك قوله :

ومَنْ قارَعَ الأيامَ أوْفَرَ لُبَّهُ ومَنْ جاوَرَ الفَدْمَ العَيِيَّ تَفَدَّما (٦)

ولم يرد في كتب اللغة تَفَدَّم بمعنى صار فَدْماً وإنما ورد فَدُمَ .

وقوله وقد جعل فعل (أوْرَقَ) متعديا وهو لازم :

غَرْسُ كَفَّيْكَ يابْنَ عَمِّ رسولِ اللـ ـهِ أنْشَأْتَني وأوْرَقْتَ عُودي (٧)

(١) الديوان ص ٤٧ .

(٢) الديوان ص ٦٤ .

(٣) الديوان ص ٢٣ .

(٤) تكملة الديوان ١٤٩

(٥) الديوان ص ٧٠ .

(٦) الديوان ص ٢٠ .

(٧) الديوان ص ٣٥ .

وقوله وقد استعمل (تنكر) بمعنى (استنكر أو أنكر) :

تَنَكَّرَ حالَ عِلَّتِيَ الطبيبُ وقالَ أرى بجسمكَ ما يَرِيبُ (١)

وقوله وقد استعمل (التوارق والتوارد) بمعنى توريق الشجر وتوريده :

واشربْ عَلَى الروضِ إذْوَشَّى زَخارِفَهُ زَهْرٌ ونَوْرٌ وتَوْرَاقٌ وتَوْرَادُ (٢)

وقوله وقد استعمل (المخملة) بمعنى الخمول :

فَجَلَّلْتَهُ بِعِزٍ بَعْدَ مَخْمَلَةٍ ورَتَّبْتَهُ من الإفضالِ في الرُّتَبِ (٣)

وقوله وقد استعمل (أثنى) بمعنى ثنى .

يَمْلأُ الكفَّ ولا يَفْضُلُها وإذا أثْنَيْتَهُ لا يَنْثَني (٤)

وقوله :

بِأَرْضِ خُسافٍ حين لم يَكُ دافعٌ ولا مانعٌ إلا الصَّفِيحُ المُذَكَّرُ (٥)

إذا ساعَدَ الطِّرْفُ الفَتى وجَنانُهُ وأَسْمَرُ خَطِيٌّ وأَبْيَضُ مِبْتَرُ (٦)

أراد بالصفيح المذكر السيف ، والذي فى كتب اللغة الصفيحة وهي السيف العريض .
ووصفه بالمبتر ، والذي في كتب اللغة البتّار .

ولم يأخذ عليه المرزباني فى الموشّح إلا لفظتين زعم أنه أخطأ بهما . الأولى فى شعره وهي (عِلاَن) مكان (إعلان) في قوله :

(١) تكملة الديوان ص ١٠٦ .
(٢) تكملة الديوان ص ١٢٣ .
(٣) تكملة الديوان ص ١١١
(٤) تكملة الديوان ص ١٨٨ .
(٥) تكملة الديوان ص ١٣١
(٦) تكملة الديوان ص ١٣٢ .

ونحن أناسٌ أهلُ سَمْعٍ وطاعةٍ يَصِحُّ لكم إسرارُها وعِلانُها

والثانية فى حديثه ولها خبر لا بأس بنقله : « قال محمد بن يزيد النحوي : كنا عند محمد بن عيسي بن عبد الرحمن الكاتب ، ومعنا علي بن الجهم ، فأراد الانصراف ، فقال له محمد بن عيسى : لو متعتنا بنفسك ، فقال له : إنه بلغني شيء ، وأظنني مأزور في قعودي . قال أبو العباس فنقص فى عيني وإنما هو موزور [1] » .

أما الأولى : فقد ورد فى كتب اللغة « عالنه معالنةً وعِلاناً » .

وأما الثانية : فقد ورد فى النهاية ما نصه : « ... ومنه الحديث ارجعن مأجورات غير مأزورات أي غير آثمات وقياسه موزورات وإنما قال مأزورات للازدواج بمأجورات وقد تكرر فى الحديث مفرداً ومجموعاً »

. فما أخذه المرزباني عليه مردود غير مسلم به .

---

(١) الموشح ص ٣٤٥ .

ديوانه

لعلي بن الجهم ديوان وصفه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٦٧/١١ بقوله : « له ديوان شعر مشهور » ووصفه ابن خلكان ٤٤١/١ بقوله : « وديوان شعره صغير » ونقل منه بعض الأمثلة . وجاء ابن شاكر الكتبي فنقل في عيون التواريخ ١٧٥/٦ ما قاله ابن خلكان . ولم يزد صاحب كشف الظنون على قوله : « ديوان علي بن جهم السامي المتوفى سنة ٢٤٩ » فدل على أنه لم يره . ولم يذكر واحد من هؤلاء اسم من جمع ذلك الديوان . ولكن ابن النديم ذكر في الفهرست ص ١٥١ أن أبا بكر محمد بن يحي الصولي المتوفى سنة ٣٣٥ صنف شعر علي بن الجهم على حروف المعجم .

أما هذا الديوان الذى عُنينا بتحقيقه ونشره فنسخته المخطوطة فريدة في العالم ، محفوظة في خزانة الإسكوريال باسبانيا تحت رقم ٣٦٩ من فهرس ديرنبورج . كتب لنا عنه منذ أكثر من سنتين الصديق الفاضل الاستاذ عبد العزيز محمد الأهواني المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة ، وكان في الإسكوريال يستقصي البحث في الأدب الأندلسي ، فرجونا منه أن يصور للمجمع العلمي العربي نسخة عنه ، فبعث بها هديةً نفيسةً مشكورةً .

يدخل هذا الديوان في اثنتين وأربعين صفحة ، مسطرة كل صفحة سبعة عشر سطراً جاء في آخره : « تم شعر علي بن الجهم والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً آمين في العشر الأوائل من شعبان المعظم سنة ١٠٠٢ » ولم يذكر الناسخ اسمه ولا تاريخ النسخة التي نقل عنها .

أما الخط فمغربي تصعب قراءته ولا تجدى طول الممارسة كبير نفع في التصحيح والتمحيص ، لأن الناسخ رحمه الله لم يلتزم قاعدة في رسم الحروف ونقطها . أضف إلى ذلك كثرة التصحيف الذى قد يكون نقله عن غيره . ويجد القاريء صورة صفحتين من الأصل وهما أشبه بالطلاسم .

لا نظن أن نسخة الإسكوريال هذه هي نسخة الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولي ،

لأنها لا تشتمل إلا على قسم من شعر علي بن الجهم ، — وإن كان ورد في آخرها : — تم شعر علي بن الجهم — وليس يجوز على الصولي أن يقنع بتدوين هذا المقدار من شعر الشاعر ويفوته كثير مما اشتهر من شعره كقصيدته الرصافية التي أولها :

عيونُ المَها بين الرُّصافَةِ والجِسْرِ جَلَبْنَ الهَوى من حيثُ أدري ولا أدْري (١)

وقصيدته التي أولها :

هِيَ النَّفسُ ما حَمَّلْتَها تَتَحَمَّلُ وللدهرِ أيامٌ تَجُورُ وتَعْدِلُ (٢)

وقصيدته التي أولها :

لم يَنْصِبُوا بالشَّاذِيَاخِ صَبيحَةَ الإِ ثنينِ مَغْموراً ولا مجهولا (٣)

وغيرها ؛ وأخرى أن في نسخة الإسكوريال قصيدتين ومقطوعة لا تطمئن النفس إلى نسبتها إلى علي بن الجهم ، بل هي من الشعر المتأخر حتى عن زمن الصولي ، وهي القصيدة الضادية (٤) والدالية (٥) والمقطوعة الميمية (٦) .

وكذلك لا نظن أن نسخة الإسكوريال هذه هي نسخة الديوان الذي وصفه ابن خلكان بكونه صغيراً ، وذلك لأن ابن خلكان نقل منه لما ترجم لعلي بن الجهم بيتين أولهما :

بَلاءٌ ليسَ يَعْدِلُهُ بَلاءٌ عَدَاوَةُ غيرِ ذي حَسَبٍ وَدِينِ (٧)

وبيتين أولهما :

ياذا الذي بعذابي ظَلَّ مفتخرا هل أنتَ إلَّا مليكٌ جارَ إذْ قَدَرا (٨)

(١) تكملة الديوان ق ٥١ ص ١٤١ .
(٢) تكملة الديوان ق ٧٤ ص ١٦٢ .
(٣) ق ٨٢ ص ١٧١ .
(٤) الديوان ق ١٥ ص ٤٨ .
(٥) الديوان ق ٢٦ ص ٨٥ .
(٦) الديوان ق ٣٣ ص ٩٤ .
(٧) تكملة الديوان ق ١٠٣ ص ١٨٧ .
(٨) تكملة الديوان ق ٥٠ ص ١٤١ .

وهذه الأبيات غير موجودة في نسخة الإسكوريال .

فمن جمع إذن هذه النسخة ؟ لا نعلم من هو ، ولكننا نرجح أنه على كل حال متأخر عن عصر ابن خلكان ، جمع ما وصلتْ إليه يده من شعر الشاعر ولم يستقص في الجمع .

هذه النسخة وإن لم تشتمل على كل شعر الشاعر ، فقد اشتملت على أكثر ما بقي منه ، لحفظت عدداً من القصائد البارعة لا توجد في غيرها . وفي نشرها بعد أن طواها الزمن قروناً عديدةً ، ورقدت في قماطر الإسكوريال دهراً طويلاً ، رفد للشعر الأصيل ، وعون على دراسة كبار الشعراء ، ووسيلة لاستكمال الأسباب لتدوين تاريخ الأدب العربي .

تكملة ديوانه :

بعد أن فرغت من تحقيق الديوان والتعليق عليه ، وظهر لي أنه لم يستوعب جميع شعر علي بن الجهم ، بدا لي أن أجعل له تكملةً أجمع فيها ما ليس في الديوان من شعره . فتوفرت على مراجعة طائفة من كتب الأدب والتراجم والتاريخ مخطوطها ومطبوعها ، فاجتمع لدي ما يضارع الديوان ، فأفردتها على حدة ، وأوردتها مرتبةً على حروف المعجم وذكرت معها مصادرها ، وألحقتها بالديوان ، ولا أشك في أن ما فاتني أكثر مما اطلعت عليه .

ولا بد من الإشارة إلى أن في خزانة برلين نسخة من قصيدة ابن الجهم المعروفة بالقصيدة الرصافية تحت رقم ٧٥٣٩/٤ حاولت الحصول على صورة منها لأعارضها بما جمعته من القصيدة المذكورة وأوردته في التكملة (ق ٥١ ص ١٤١) فلم أظفر ببغيتي لتعذر هذا الأمر في الأحوال الحاضرة .

وأرجو أن يكون في نشر هذا الديوان ، حافز على الاستقصاء في دراسة هذا الشاعر ، وجمع أشعاره وأخباره .

دمشق { ٥ ربيع الأول سنة ١٣٦٩
٢٥ كانون الأول سنة ١٩٤٩

خليل مردم بك

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال علي بن الجهم
بن بدر يمدح المعتصم بالله

صورة الصفحة الأولى من ديوان علي بن الجهم
المحفوظ في خزانة الإسكوريال
(رقم ٣٦٩)

صورة الصفحة الثانية من ديوان علي بن الجهم
المحفوظ في خزانة الإسكوريال
(رقم ٣٦٩)